في رحاب

صادق العترة

عليه السلام

عروض مختارة وتحليلية من سيرته الشريفة

يحيى غالي ياسين

" وكان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي عليهما السلام ووصيه والقائم بالإمامة من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل ، وكان أنبههم ذكرا ، وأعظمهم قدرا ، وأجلهم في العامة والخاصة ، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلدان ، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه ، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام ، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات ، على اختلافهم في الآراء والمقالات ، فكانوا أربعة آلاف رجل ، وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ، ما بهرت القلوب وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات "

الشيخ المفيد / الإرشاد / ج٢ ص١٧٩

المقدمة

قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** } التوبة ١١٩

الحياة في رحاب ائمة أهل البيت عليهم السلام - فكراً وعملاً - هي خير ما في هذه الحياة وأفضل سبيل لأفضل مصير بعد الممات .. لأنها أصدق ما في هذه النشأة وأحقّ ما فيها ، في قبال عمر قد يقضيه الإنسان وهو يترنح بين أفكار خاطئة وتجارب فاشلة وأهداف موهومة وسبل وصول عاجزة ومغشوشة ..

والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من بين الأئمة الذين عاشوا عمراً طويلاً نسبياً (83 – ١٤٨) هج ، مملوءاً بالعبادة والزهادة من جهة ، ونشر علوم الدين وتوضيح شريعة سيد المرسلين وتخريج الطلبة والعلماء النابهين والبارزين من جهة أخرى .. فعاش في كنفه الاف العلماء والطلبة في أيّامه ، وعاش في أروقة وأوراق علومه آلاف العلماء والطلبة ايضاً الى وقتنا هذا .. أمّا العاملون وفق فقهه ورواياته وأحاديثه وعلومه المتنوعة فما يفوق ذلك بآلاف الاف المرات ..

كذلك اتسمت فترة إمامته صلوات الله عليه بالكثير من الأحداث والتطورات السياسية المهمة ، فانتهت في أيّامه الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية ، واندلعت في وقته عدد من الثورات والحراكات السياسية المعارضة ..

علاوةً على ظهور حركات وأفكار وعقائد واتجاهات دينية ومذهبية مختلفة ، فكثرت الآراء العلمية والجدالات الفكرية والمسائل العقلية والشرعية .. فكان سوق الفكر والعلم رائجاً وبمستويات نستطيع القول بأن الأمة الإسلامية لم تشهد بها من قبل .. الى غيرها من الأمور والأحداث والتغيّرات التاريخية الحرجة والخطيرة والتي رسمت بمجموعها خارطة جديدة للإسلام والمسلمين على أكثر من جانب ومستوى استمرت لفترة طويلة وبعضها الى الآن ..

ولا بد من الإشارة إلى أن أي دراسة لحياة ائمة المذاهب الإسلامية او دراسة فقههم بمعزل عن دراسة حياة وفقه الإمام الصادق عليه السلام تعتبر دراسة ناقصة غير مكتملة الأركان من الناحية العلمية ، وكذلك مشوبة بالمؤاخذة الأخلاقية والأدبية من ناحية أخرى .. وذلك لإستاذية الإمام الصادق لأئمة المذاهب ولسبقه مرتبةً عليهم علمياً وزمنياً بإعترافهم هم كما سيتضح لاحقا . فما دام الأصل موجوداً وعلم الأعلم موفوراً ، يصبح الذهاب الى ما هو دونه فضلاً عن تركه بالكلية أمراً وراءه الكثير للباحث عن الحقيقة ..

وهذا ما دفع الكاتب ابو زهرة الى الاعتذار في مقدمة كتابه (الإمام الصادق حياته وعصره ، آراؤه وفقهه) حيث يقول : " أما بعد فإننا قد اعتزمنا بعون الله وتوفيقه أن نكتب في الإمام الصادق ، وقد كتبنا عن سبعة من الائمة الكرام[1] ، وما أخرنا الكتابة عنه لأنه دون أحدهم ، بل له فضل السبق على أكثرهم

[1] وهم ابو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وابن تيمية وابن حزم وزيد بن علي .

، وله على الأكابر منهم فضل خاص ... ولكنا تأخرنا في الكتابة تهيباً لمقامه .. " .

ولأن استدرك أبو زهرة خطئه فإن غيره لم يسعفه التوفيق للأسف الشديد ، ولعل الهفوة الكبرى تكمن في كتب صحاح المسلمين كالبخاري ومسلم ، حيث زهد مؤلفا هذين الكتابين – وغيرهم - في ذكر روايات الإمام الصادق على غزارتها وتنوعها وكثرة حملتها .. !! ، في الوقت الذي ينقلون فيه عن عمران بن حطان مادح عبد الرحمن بن ملجم قاتل امير المؤمنين (عليه السلام) وغيره كمروان بن الحكم الملعون على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في صلب أبيه والكثير من الخوارج والنواصب والمجاهيل والمدلسين والمجروحين .. !

فهي دعوة اذن الى تدارك هذا الخطأ المنهجي الذي وقع فيه الكثير من العلماء والكتّاب والباحثين ، بقصد أو بدون قصد ، وأن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي – كما يُقال - .

نحن بين يدي مجموعة من الأوراق ، دوّنا فيها ما كتبناه في مناسبات مختلفة خاصة بالإمام الصادق عليه السلام ، وحاولنا في كل ورقة – موضوع - الإشارة الى فكرة معينة والتركيز والاهتمام على ملحوظة مهمة تختص بحياته وسيرته الشريفة ، ما نكتبه هنا يصنّف تحت قسم الاتجاه التحليلي لكتابة ودراسة تاريخ حياة الأئمة صلوات الله عليهم ، حيث يسعى هذا الاتجاه الى استخراج العبر والدروس والسنن التاريخية والإجابة على الشبهات العالقة وتوضيح ما ينبغي توضيحه ما بين الأسطر

والكلمات .. في قبال الجانب السردي او التأسيسي الذي يتناول السيرة كرواية تاريخية ..

وتبقى سيرة ومدرسة صادق العترة غنية بالإفادات والتحقيقات ، وسيجد كل باحث ما هو جديد وجدير ببذل الجهد وإعمال النظر وتسخير كل الطاقات والإمكانيات المتاحة .

نسأل الله أن يرزقنا زيارته وولايته في الدنيا ، وأن ننال شفاعته في الآخرة ، إنه نعم المولى ونعم النصير ..

الإمام الصادق (عليه السلام)
في سطور

عن الإمام الصادق (ع)

جاء أعرابي إلى النبي ص وآله فقال : يا رسول الله هل للجنة من ثمن ..؟ قال : نعم ، قال : ما ثمنها ..؟ قال : لا إله إلا الله يقولها العبد مخلصاً بها ، قال : وما إخلاصها ..؟ ، قال : العمل بما بعثت به في حقه وحب أهل بيتي ، قال : فداك أبي وأمي وإن حبّ أهل البيت لمن حقها ..؟ ، قال : إن حبهم لأعظم حقها .

المصدر : بحار الأنوار

الإمام الصادق عليه السلام في سطور

- هو الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم جميعا) ، السادس[2] من أئمة أهل بيت العصمة الذين نصّ الرسول (صلى الله عليه وآله) على خلافتهم له وإمامتهم من بعده .

- ولد في السابع عشر من ربيع الأول[3] سنة (83) هجرية في المدينة المنورة ، أدرك جدّه الإمام السجاد وأباه محمّد الباقر (عليهم السلام) ، عاش مع أبيه وجده إثنتي عشر سنة ومع أبيه بعد جدِّه تسع عشر سنة وبعد أبيه أربع وثلاثين سنة وحين توفي (ع) كان عمره الشريف خمس وستين سنة .

- عاصر الإمام الصادق (عليه السلام) الحكم الأُموي مدّة تقارب (أربعة) عقود ، حيث عاصر عشرة من حكام بني أميّة ، وكان أولهم عبد الملك بن مروان حيث تزامنت ولادة الإمام عليه السلام أواخر حكمه ، أما بقية من عاصرهم (ع) فهم الوليد بن عبد الملك ، وسلمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، وابراهيم بن الوليد ، ومروان

---

[2] بعد إضافة عمّه الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه سلام الله ..

[3] نفس يوم ولادة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..

الحمار، عاش ظلمهم وجبروتهم وانحرافهم عن خط الرسالة بشكل عام ، وصبّ جام ظلمهم على أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومحط التنزيل بشكل خاص .

- شهدت إمامته محاولات استغلال بني العباس لإسم ومكانة ومظلومية أهل البيت عليهم السلام للإنقضاض على السلطة وسحب البساط من بني أميّة ، وكان موقفه عليه السلام واضحاً ولم تنطل عليه تلك الادعائات والشعارات التي بان زيفها ومكرها بأقرب فرصة ..
- زال حكم بني أُمية سنة (132 هـ) ، ثمّ آلت الخلافة المغتصبة إلى بني العباس ، فعاصر حكم أبي العباس السفّاح وشطراً من حكم المنصور الدوانيقي بما يقرب من عشر سنوات .
- استبدل عليه السلام الصراعات والمماحكات السياسية والصراع على السلطة بإهتمامات أخرى تركز على الجانب الشرعي والعلمي والفكري للأمة وإعداد الجماعات الصالحة التي تستطيع أن تحافظ على روح الإسلام وتعزز من جبهة المواجهة ضد التيارات والانحرافات الداخلية والمستوردة نتيجة الفتوحات الكبيرة للمسلمين على ثقافات وايدولوجيات مختلفة في الشرق والغرب .
- انتشرت الكثير من الفرق الاسلامية كالمعتزلة والاشاعرة والخوارج والكيسانية والزيدية في عصره واشتد الصراع بينها ، كما بدأت الزندقة تستفحل وتخترق اجواء المجتمع الاسلامي ، فتصدى الإمام الصادق (عليه السلام) للردّ على الملاحدة من جهة وتصدى للردّ على الفرق المنحرفة من جهة أُخرى .

- في مقابل عدم التصدي المباشر مع اجهزة السلطات الحاكمة وعدم وقوفه بالعلن بالضد منهم ، صدرت منه عليه السلام مواقف مهمّة واتخذ بعض الأساليب الدقيقة والتي من شأنها تقوية الخط الثوري والجهادي في أوساط الأُمة ، كمدحه لشخص عمّه زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) وتأييده لبعض الثورات التي قام بها ثوّار البيت العلوي الكرام .
- رغم ابتعاد الإمام عليه السلام عن ساحات المواجهة واتخاذ كافة الاحترازات التي تمنع السلطة من اتخاذ موقف اتجاهه قد يؤدي الى أذى الإمام وتمكنه من عدم إعطائهم الذريعة لممارسة ظلمهم وتعنّتهم اتجاهه .. إلا أن هذا لم يمنع الظلمة من أن تعيش هاجس خطر أهل بيت النبوّة على عروشها ودنياها ، وما يقضّ مضاجعهم إلّا الحقّ الذي سلبوه منهم وهم يعلمونه تمام العلم ، وعلى أثر ذلك استدعي الإمام عليه السلام الى العراق أكثر من مرّة ، غير ظروف المراقبة والتضييق وزرع العيون والجواسيس على حركات الإمام ..

- وهكذا عاش الإمام الصادق (عليه السلام) الفترة الأخيرة من حياته ـ وبعد أن استقرت دعائم الحكم العباسي ـ حياة الاضطراب والارهاب ، وفي جوّ مشحون بالعداء والملاحقة ، إلاّ انه استطاع أن يؤدي رسالته بحكمة وحنكة وقوّة عزم ويفجّر ينابيع العلم والمعرفة ويبني الأمة الاسلامية من داخلها ويربّي العلماء والفقهاء الأُمناء على حلاله وحرامه ويشيد بناء شيعة أهل البيت الذين يمثّلون الجماعة الصالحة التي عليها تتكئ دعائم الخطّ النبوي لتحقيق مهامّه الرسالية بعد أن

عصفت الرياح الجاهلية بالرسالة الخاتمة وتصدّى لقيادة الأُمة رجال لم يكونوا مؤهلين لذلك .

 وقد صنّف الحافظ أبو العبّاس بن عقدة كتاباً جمع فيه رجال الصادق ورواة حديثه وأنهاهم إلى أربعة آلاف . وكتب من أجوبته أربعمائة مصنّف ، وقال المرحوم آية الله السيّد محسن الامين العامليّ : وبالجملة كان عصره أقلّ عصور أهل بيته خوفاً فكثرت الرواة والمصنّفون في الحديث من الشيعة في زمانه أكثر من زمان أبيه . ولم يرو عن أحد من أهل بيته ما روي عنه حتّى قال الحسن بن عليّ الوشّا ، من أصحاب الرضا عليه السلام : أَدْرَكْتُ فِي هَذَا المَسْجِدِ (يَعْنِي مَسْجِدَ الكُوفَةِ) تِسْعَمائَةِ شَيْخٍ كُلٌّ يَقُولُ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ . وقال الشيخ المفيد في الإرشاد : حيث قال عند ذكر الصادق عليه السلام : ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلاد ، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه . فإنّ أصحاب الحديث نقلوا أسماء الرواة عنه الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل .

 أُستشهد صلوات الله عليه في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة 148 هـ ، وقيل إن وفاته في النصف من رجب ، والأول هو المشهور ، يعتقد الشيعة أن المنصور قد اغتاله بالسم على يد عامله بالمدينة ، وقيل إن السم كان في عنب كما ذكر الكفعمي في المصباح ، وأيضاً ذكر بعض أهل السنة موته بالسم كما في (الصواعق المحرقة ، تذكرة الخواص ، نور الأبصار وغيرهم ..) . ويقول الشيخ المفيد في الإرشاد : "

ومضى عليه السلام في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة ، وله خمس وستون سنة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه الحسن عليهم السلام ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وكانت إمامته عليه السلام أربعا وثلاثين سنة "[4] .

 كلمات قيلت بحقه عليه السلام :

● **الإمام الباقر** عليه السلام : عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ : نَظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ - عليه السلام - إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ - عليه السلام - يَمْشِي ، فَقَالَ : **تَرَى هَذَا ؟ هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ - عز وجل - : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ "** [5].

● **زيد بن علي** رضوان الله تعالى عليه : **" في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه ، وحجة زماننا ابن أخي جعفر ، لا يضل من تبعه ، ولا يهتدي من خالفه "**[6] .

● **مالك بن أنس : " اختلفت إلى جعفر بن محمد زمانا ، فما كنت أراه إلاّ على إحدى ثلاث خصال : إما مصلّيا ، وإما صائما ، وإما يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدّث عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - إلا على طهارة ، ولا يتكلّم بما لا**

4 الإرشاد ج٢ ص ١٨٠
5 الكليني، الكافي، ج 1، ص 306.
6 ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج٤ ص ٢٧٧

يعنيه ، وكان من العلماء العباد والزهّاد الذين يخشون الله ، وما رأت عين ، ولا سمعت أُذن ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا " [7].

- **ابو حنيفة النعمان : " ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد "**[8] ، وقال إشارة الى مدة دراسته عنده : **" لولا السنتان لهلك النعمان "**[9] .

---

[7] العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص١٠٤

[8] المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ص ٩٧

[9] أسد حيدر ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ج١ ص٧٠

متلازمة
الولاء السياسي

قال الإمام الصادق (ع)

أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سببا ، وجعل لكل سبب شرحاً وجعل لكل شرح مفتاحا ، وجعل لكل مفتاح علما وجعل لكل علم باباً ناطقا ، من عرفه عرف الله و من أنكره أنكر الله ذلك رسول الله (ص) ونحن .

المصدر : بحار الأنوار

متلازمة الولاء السياسي

لماذا انتشرت مذاهب التلاميذ دون مذهب استاذهم ..؟

استاذية الإمام الصادق عليه السلام لرؤساء أهمّ المذاهب الإسلامية أمر مفروغ منه تاريخياً ، فهو إمام الفقهاء واستاذ العلماء .. فمن تلامذته المشهورين أبو حنيفة ومالك بن أنس ، وهؤلاء تتلمذَ على علمهم الشافعي [الشافعي (150- 204هـ) تفقه على الإمام مالك بعد أن تخرج على علماء مكة ، وأنه أُقدِم إلى بغداد بعد ذلك سنة أربع وثمانين ومائة ، فاتصل بمحمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ) صاحب أبي حنيفة (ت150هـ) ، وأخذ عنه كتبه] ، والشافعي شيخ أحمد بن حنبل .. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا هو : ما الذي جعل مذهب الأستاذ أقل انتشاراً واعتناقاً من مذاهب تلامذته ومن تربّوا على موائده العلمية والفكرية [10].. !!

والسؤال بنفسه جدير بالإجابة والاهتمام ، لأنه يفتح باباً واسعاً للتحليل التاريخي وفهم طبيعة بعض الاشياء واستنتاج بعض الموازين والمعادلات التي تحكّمت في أحداث ومسيرة تاريخ الإسلام ولفترات طويلة .. فالأسباب التي تصلح أن

[10] تشير بعض الاحصائيات أن نسبة الشيعة الى المجموع الكلي للمسلمين في العالم هو الربع تقريباً اي 25% .

تكون جواباً للسؤال المطروح كثيرة ، ولكن نريد هنا اختيار سبب هامّ ومؤثّر في هذا الجانب كثيراً ، نستطيع أن نطلق عليه عنوان : (**متلازمة الولاء السياسي**) .. !

كان ولا زال الولاء[11] السياسي للدين والمذهب هو وراء انتشار وتقويض ذلك الدين وذلك المذهب في هذه المنطقة او تلك ، وفي هذه الدولة او تلك الدولة ، او في هذا الزمان او ذلك الزمان .. فطبيعة الحكّام والسياسيين هي دعم وتأييد كل ما من شأنه تدعيم حكمهم وتقوية سياستهم وشرعنة أفعالهم وممارساتهم ، فيدعمونهم ما أوتوا بذلك من قوة ، فيصبح ذلك المذهب هو المذهب الرسمي لتلك الدولة ما دام صاحبه أو رجاله مع الدولة ، طوعاً أو كرها .. **!** ، فيصبح رجل الدين المؤيّد لهم هو مفتي دولتهم أو قاضي قضاتها .. والناس كما قيل على دين ملوكهم ، فينتشر ويتسع مع الزمن .

والعكس بالعكس ، فالمذهب المعارض للدولة هو المذهب الآيل للإنقراض ، فعلماؤه يقتّلون ، وآرائه تصبح اراءً منحرفة ومحظورة ، وشعائره تكون جريمة .. الخ ، بهذه المعادلة البسيطة والحقيقة التاريخية الناصعة والتي لا زالت مُعاشة[12]

---

[11] الولاء : النُّصْرَةُ وَالإِعَانَةُ وَالمَحَبَّةُ ، وَأَصْلُ كَلِمَةِ الوَلاَءِ مِنَ الوَلْيِ وَهُوَ القُرْبُ ، يُقَالُ : وَلِيَهُ وَلْيًا وَوَلاَيَةً أَيْ اقْتَرَبَ وَدَنا مِنْهُ ، وَضِدُّ الوَلاَءِ : البُغْضُ وَالبُعْدُ ، وَمِنْ مَعَانِي الوَلاَءِ أَيْضًا : الطَّاعَةُ والصَّدَاقَةُ والاتِّبَاعُ .

[12] يُنقل بهذا الصدد أنّ الشيخ محمد عبده (ت 1323هـ/1905م) الذي عُرف بتتلمذه على أيدي المالكية ولكنه عندما أُسنِد إليه منصب الإفتاء تحوّل إلى المذهب الحنفي لأسباب تخص التقاليد العثمانية فيمن يتولى وظيفة المفتي

يمكن ان نعرف السبب وراء تعملق المذاهب الإسلامية على حساب المذهب الجعفري .. راجع التاريخ وراجع حياة ائمة المذاهب وعلاقتهم مع ملوك عصرهم وستلمس من نقوله واضحاً وجليا ..

فهذا ما حصل مع الإمام الصادق عليه السلام ومن عمل برأيه ودان الله بعلمه ، حيث كانت السلطات تنظر إليه بأنه رأس المعارضة وأقوى اعدائها وإن لم يصدر منه شيئ ظاهر للعيان ، وإن لم تكن له صلوات الله عليه تحركات سياسية او ثورية وما شاكلها ، لأنه كان شديد التحرّز من ذلك ويعمل بالتقية ويقول : **التقية ديني ودين آبائي** ، إلا أنه لم يكن معهم ولم يسند دولتهم ولا يشرّع لهم ظلمهم ولم يتسنّم مركزاً في جهاز حكمهم ، فهو القائل : **" الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم "**[13] . فلاقى ما لاقى من التضييق والمراقبة والاستدعاءات المتكررة الى قصر الخليفة ، غير محاولات قتله عليه السلام . وأما إرهاق دم العلويين وحبسهم وخاصة آل الحسن والمحنة التي مرّوا بها أيام المنصور الدوانيقي ، فأشهر من أن يُذكر ، حتى قال الشاعر :

والله ما فعلت أمية فيهم * معشار ما فعلت بنو العباس**

العام للقُطر؛ لكن هذا التحول المذهبي -الذي مارسه الشيخ عبده- إنما هو جزء من حَراك علمي طويل وثريّ اشتُهر به التراث المذهبي الإسلامي .

[13] سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج٦ ، ص ٢٦٢

بينما اتّبع غيره من " العلماء " أسلوب مسايرة الأجهزة الحاكمة والتزلف لها وتقمص بعض مناصبها ، أو بعضهم وإن لم يتزلفوا إلى السلطات بدءاً إلا أن آراؤهم وأحكامهم تخدم السلطة وتقوي أمرها .. والشواهد على مجاراة بعض أصحاب المذاهب الفقهية والآراء الفكرية للسلطة الحاكمة كثيرة :

فمثلاً : يرى الدكتور عبد الحسين علي احمد في كتابه (موقف الخلفاء العباسيين من ائمة اهل السنّة الأربعة ومذاهبهم) أن (الإمام مالك) قد تطور[14] فكره السياسي على أربع مراحل :

المرحلة الأولى : اتسمت بالولاء للخليفة العباسي المنصور ، وأخذ العطاء منه .

المرحلة الثانية : بدأت منذ سنة ١٤٤ للهجرة ، حين استطاع محمد النفس الزكية أن يحصل على تأييد أهل المدينة ، وأدرك مالك قوة محمد ، وعلم أنه أصبح أقوى من المنصور ، فأفتى بجواز الخروج معه . وحين سعى أهل المدينة يستفتون مالكاً في الانضمام إلى الثوار مع أن في أعناقهم بيعة للمنصور قال : إنما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين . ولم يزد على الافتاء . أما هو فقد لزم بيته .

---

[14] وهنا يستعمل مصطلح " التطور " ، وهو لا يخلو من مسامحة ومداراة ، والحقيقة هو تقلّب وميل ذكروا لها أسباب ومنها الخوف من السلطة العباسية .. والله العالم .

المرحلة الثالثة : مرحلة التحفظ والامتناع عن الخروج على الحاكم الظالم ، لاقتناعه بعدم إمكان القيام بأية ثورة ضد المنصور ، بعد ما رأى ما نزل بأهل المدينة أثناء ثورة النفس الزكية .

المرحلة الرابعة : رفض الخروج على الحاكم الظالم ، وتبدأ من سنة ١٤٨ هـ . وفي هذه السنة حصل مالك من المنصور على صلاحيات واسعة في الفقه والقضاء . حتى قيل أنه صنف مؤلفه الأشهر" الموطأ " ، استجابة لطلب الخليفة المنصور، الذي أراد أن يجمع جميع المسلمين على كتاب حديث واحد ، بحيث يجري العمل وفق أحكامه الفقهية .

وأما عن سبب انتشار مذهب مالك في بلاد المغرب العربي فيقول أسد حيدر : " وكان انتشار مذهبه على ايدى القضاة والملوك ، وقد انتشر بالاندلس بسبب حمل ملك الاندلس الناس عليه بالقهر لما بلغه كلام من مالك في مدحه عندما سئل عن سيرة الملك في الاندلس فذكر له عنها ما اعجبه فقال : نسأل الله تعالى ان يزين حرمنا بملككم . فلما بلغ قوله الى الملك حمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي ، وهذا من أقوى عوامل الانتشار ودواعي الظهور والسمعة واقبال الناس

عليه اتباعاً للسلطان و خضوعاً للسلطة بدون تمييز لما هو الأرجح والاولى .. "[15] .

أقول : الإغراءات التي تمارس مع الشخصيات المهمة في سبيل ميلها الى هذا الجانب أو ذاك كثيرة ، منها ما هو مادّي ومنها ما هو معنوي ، فينقل الذهبي (ت 748هـ/1347م) في " تاريخ الإسلام " أن شارح ديوان المتنبي الأشهر أبا البقاء العُكْبُري الحنبلي (ت 616هـ/1219م) كان يقول : "جاء إليّ جماعة من الشافعية فقالوا : انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بـ[المدرسة] النِّظامية ، فأقسمتُ وقلتُ : لو أقمتموني وصببتم علي الذهب حتى أتوارى به ما رجعتُ عن مذهبي " ! .

وقيل ايضاً عن الشافعي (١٥٠ _ ٢٠٤) هجرية ، إن الأثر الفقهي السياسي الأكبر الذي نتج لديه هو نتيجةً لإتصال الشافعي بالسلطة العباسية ، حيث تحوّل الشافعي بشكل كامل من الصف المعتزلي - العلوي إلى الصف السنّي المحض ، وهو ما ظهر في ما بعد في مسألتين مهمتين في الفكر السياسي عند الشافعي :

المسألة الأولى / هي التأكيد على شرط قرشية الخليفة ، إذ ذكر ذلك بشكل واضح في كتابه "الأم" .

---

[15] الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ج١ ص١٩٨

أما **المسألة الثانية /** فهي التنظير والتقعيد لنظرية الحاكم المتغلب ، إذ ينقل شمس الدين الشربيني في كتابه " الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع " ، عن حرملة تلميذ الشافعي قول أستاذه " كل قرشي علا الخلافة بالسيف ، واجتمع عليه الناس فهو خليفة ".

وأما بالنسبة للمذهب الحنفي فيرى صاحب كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة أن للقاضي ابو يوسف الأنصاري دوراً كبيراً في انتشار هذا المذهب ، فيقول : " كانت دعوة العباسيين قائمة على أساس الانتماء الى النبي ص وآله ، وأنهم سلالة البيت النبوي فهم أحق بالأمر من أمية خصوم الأسلام وأعداء محمد ، وبالطبع انهم يقيمون على اطلال تلك الدولة المتهمة بمخالفة الدين دولة ذات صبغة دينية يحاولون أن يظهروا الاتصال الوثيق بين الدين والدولة ليكوّنوا من أحكام الشريعة الاسلامية دستوراً أو نظاماً تسير الدولة عليه سيراً صوريا ، فقرّبوا العلماء ، واتصلوا بهم اتصالاً وثيقاً وآثروا نشر العلم ، وجعلوا القضاء بيد أهل الرأي من أهل العراق ، حتى ولى ابو يوسف القضاء وهو أقوى عوامل انتشار المذهب الحنفي لمكانة الى يوسف وسلطته التنفيذية يومذاك ، فكانت المذهب الحنفي خطوة واسعة في قطع مسافة الشهرة بما لم يسعد به غيره . فابو يوسف هو تلميذ ابى حنيفة .. "[16] .

[16] الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، أسد حيدر ، ج١ ص١٩١

ويذكر : لما انتقل أبو البركات الحنفي إلى مذهب الحنبلي فآذاه الحنفية فانتقل إلى مذهب الشافعي فقال المؤيد التكريتي في هجائه :

ألا مبلغ عنـي الوزيـــر رســالة

وإن كان لا تجـدي إليه الرسائل

تمذهبت للنعمـان بعـد ابن حنبل

وذلك لمــا أعوزتـــك المــآكل

وما اخترت رأي الشافعي تديناً

ولكنما تهوى الذي هـو حاصــل

وعما قيل أنت لا شك صائـــــر إلى

مالك فافهم لما أنا قائــل

وأخيراً راجع سيرة وحياة أحمد بن حنبل وسترى كيف أن آراؤه وأحكامه السلطانية أستهوت المتوكل العباسي وأجبرته على اعتماد مذهبه وفتاواه وجعلها المدار الشرعي الذي تدور عليه سلطته – ظاهراً طبعا - .

فقه القيادة
في زمن ضعف الدولة

فقه القيادة في زمن ضعف الدولة

من السنن التأريخية التي يثّبتها التأريخ البشري ويقرّها الدين ويحققها علم السياسة هو أن لكل دولة عمراً ، يطول أو يقصر , وتكاد أن تتشابه الدول في أسباب موتها وقصف عمرها وإن إختلفت في أسباب نشوؤها وولادتها :

✖ فيذهب ابن خلدون مثلاً في مقدّمته [17] الى أنّ (العَصَبية) هي سبب قيام الدولة وإنهيارها ، فيقول : " **إن الملك والدولة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية** " ، ويعرّف العصبية بأنها : " **اللُّحمة الحاصلة من الولاء ، مثل لُحْمَة النسب ، أو قريبًا منها** ". فبنظره أن وجود الدولة يعتمد على وجود العصبية بين أبناءها ، والعصبية بالمفهوم الحديث هو أقرب الى مفهوم القومية .. فهو بالتالي يرى – كما نفهم - أن الأواصر المختلفة (النسبية أو السببية) تكون وراء نشوء الاجتماع البشري ، والاجتماع البشري وراء قيام الدول والأنظمة .. ولكنه يقرر بعد ذلك أن الدولة في بعض مراحلها ممكن أن تستغني عن

[17] هو كتاب ألفه ابن خلدون سنة 1377م كمقدمة لمؤلفه الضخم الموسوم كتاب العبر . وقد اعتبرت المقدمة لاحقًا مؤلفًا منفصلًا ذا طابع موسوعي إذ يتناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة والطب . وقد تناول فيه أحوال البشر واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان .

العصبية ، فيقول : **في أنه إذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية "** ، ويعلل هذا الاستغناء بقوله : **" فإذا استقرّت الرّئاسة في أهل النّصاب المخصوص بالملك في الدّولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النّفوس شأن الأوّليّة واستحكمت لأهل ذلك النّصاب صبغة الرّئاسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتّسليم وقاتل النّاس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الإيمانيّة فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم إلى كبير عصابة** .. " ، ثم يعزو انهيار الدولة الى نفس فقدان العصبية ويتخذ من دولة بني العباس شاهداً فيقول : **" ومثل هذا وقع لبني العبّاس فإنّ عصبيّة العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنّما كان بالموالي من العجم والتّرك والدّيلم والسّلجوقيّة وغيرهم ثمّ تغلّب العجم الأولياء على النّواحي وتقلّص ظلّ الدّولة فلم تكن تعدو أعمال بغداد حتّى زحف إليها الدّيلم وملكوها وصار الخلائق في حكمهم ثمّ انقرض أمرهم وملك السّلجوقيّة من بعدهم فصاروا في حكمهم ثمّ انقرض أمرهم وزحف آخر التّتار فقتلوا الخليفة ومحوا رسم الدّولة .. "** .

✖ ويذهب ميكافيلي الى انّ القدرة السياسية هي التي تحدّد بقاء الدولة من زوالها ، والقدرة السياسية عنده تُمثّل بكثرة الرجال والأموال عند الحاكم . استعمال القوة في الداخل – مع الرعية – وفي الخارج هي العصا السحرية التي يحافظ بها الحاكم على حكمه وسلطته عند ميكافيلي ، ثم أنه يرى أن الحاكم يجوز له التنكر لمبادئه وأخلاقه في سبيل الوصول الى

السلطة والمحافظة عليها ، فالغاية بنظره تبرر الوسيلة ، ثم أن رجل الدولة بنظره يختلف عن رجل الأخلاق ورجل الدين .

✖ والدولة في مفهوم انجلز (أحد آباء النظرية الماركسية) : **" الدولة ليست بحال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه ، ... الدولة هي منتوج المجتمع عند درجة معينة من تطوره ، انها افصاح عن واقع أن هذا المجتمع قد وقع في تناقضات مع ذاته لا يمكنه حلها ، عن واقع أن هذا المجتمع قد انقسم إلى متضادات مستعصية هو عاجز عن الخلاص منها. ولكيلا تقوم هذه المتضادات ، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة ، بالتهام بعضها بعضا والمجتمع في نضال عقيم ، لهذا اقتضى الأمر قوة تقف في الظاهر فوق المجتمع ، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود "النظام". ان هذه القوة المنبثقة عن المجتمع والتي تضع نفسها فوقه وتنفصل عنه أكثر فأكثر هي الدولة "**[18].

✔ الدولة في الإسلام : لا حاكمية لشخص على شخص ، ولا لأمة على أمة في الإسلام ، الحاكمية المطلقة لله ، ومن هنا ينبثق مفهوم خلافة الإنسان لله على الأرض ، والمستخلَف ينبغي أن يمضي بأوامر وطاعة المستخلِف ووفق ما يخوّله فيما استخلفه فيه ، ومن هنا ينبثق ايضاً مفهوم (الدولة – السلطة – الحكومة - .. الخ) .

---

18 كتاب أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ص١٧٧

فإذا فهمنا هذا الأصل فهمنا باقي المفاهيم والأصول والأحكام المتعلقة بإقامة الدولة ، ولعل من اوائل الأسس التي تبتني عليها الحكومة في الإسلام هو أساس ومفهوم (العدل) ، فالعدل أساس المُلك في الإسلام ، بينما يكون الظلم والطغيان من أهمّ أسباب زوال الدول وفناءها .. قال تعالى **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)**[19] ، وقال تعالى **(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا)**[20] , وقال تعالى **(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)** [21]..

ولقد شبّهوا الدولة بالطفل الذي يولد ضعيفاً ، ثمّ يشتدّ عوده وتقوى شكيمته ، ثمّ بعد ذلك يهرم ويضعف . ويحدد ابن خلدون في مقدّمته عمر الدولة بثلاثة أجيال ، ويعطي لكل جيل (40) سنة ، فيكون معدل عمر الدولة (120) سنة ، غير أننا نقول لو أنّ ابن خلدون اكتفى بتحديد ثلاثة أجيال وأطوار للدولة من دون تحديد عمرها بالسنوات لكان أسلم له وأكثر علمية ، فهذه الدولة العباسية والدولة العثمانية استمر كل منها مئات السنين ..!

---

19 النساء ٥٨

20 الإسراء ١٦

21 الانبياء ١١

ولسنا في صدد الإستطراد في هكذا فكرة أو إثبات هذا المدّعى – فيما يخص الأجيال الثلاثة لعمر الدولة - ، وسنأخذه مسلّماً ونكتفي بما يقرّه الواقع وتقرّه أصولنا الشرعية ويقرّه أهل الإختصاص من علماء اجتماع وسياسة .. ولعلّ الآية القرآنية (**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون**) [22] .. واضحة وصريحة لفكرة الأجيال الثلاثة (ضعف – قوة – ضعف) .. فتأمل

ويترتب على هذه الحقيقة أمور ، من أهمّها :

♲ ضعف الدولة فرصة للإستثمار الواعي من قبل المصلحين :

فضعف الدول في نهاية عمرها أو بداية عمرها من الفرص الثمينة التي تحتاج الى استثمار حقيقي في بعض المجالات من قبل أهل الحقّ أو الذين كُتمت أنفاسُهم وقيّدت حريّاتهم أبّان تسلّط الدولة الظالمة وجبروتها .. وتضييع هكذا فرصة تعتبر غصة بحق ، ولا ينبغي التهاون بذلك ، وعندما نقلّب صفحات التأريخ سنجد استثمارات ناجحة وواعية لهكذا فرص نتجت عنها إصلاحات كبيرة واستراتيجية في عمر التأريخ الإصلاحي للبشر ..

[22] يونس ٢٤

ولنا في الإمام الصادق عليه السلام أسوة حسنة وإنموذجا واضحاً وجليّاً ، فلقد عاش صلوات الله عليه في فترة ضعف الدولة الأموية وهي تتلفظ أنفاسها الأخيرة بعد عقود من الظلم والطغيان والفساد ، وفترة ضعف دولة بني العباس الفتية ، وأستثمرها عليه السلام خير استثمار ، سواء كان على مستوى بث علوم الدين ونشرها ، أم تخريج الفقهاء والعلماء ، أو على مستوى رسم الخطوط التفصيلية لمذهب الحق .. الخ حتى أصبحت مدرسة أهل البيت عليهم السلام تسمى بإسمه (الجعفرية) ..

قرأ الإمام الصادق عليه السلام واقع عصره قراءة إلهية ومسدّدة وحددّ طرق وشكل الإستثمار النافع لهذه الفرصة ..

غير أنّ هنالك قراءة ثانية لبعض أهل بيته وشيعته مقابلة لقراءة الإمام الصادق عليه السلام مفادها هو ضرورة القيام والإنقضاض على السلطة ومسك زمام الامور واستغلال ضعفها بهذا الشكل ، فتوالت العروض المختلفة من قبل شيعة أهل البيت ع ممن لهم قراءة أخرى للإمام ، طالبين منه القيام واستغلال الفرصة في مسك زمام الأمور والإنقضاض على سدّة الخلافة غير أنه عليه السلام رفض ذلك رفضاً قاطعاً وباتاً .

وتذكر لنا بعض النصوص الواردة أسباباً لهذا الرفض وتبرهن على بعض وجوه خطأ قرائتهم وصحة قراءة الإمام عليه السلام للواقع آنئذ ، نحاول ذكر بعضها :

1. **عدم وجود الناصر** : فيروى أن سدير الصيرفي دخل على الإمام الصادق ع فقال : يا ابا عبدالله ما يسعك القعود ، فقال : **ولِمَ يا سدير ؟** فقال : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك .. فردّ عليه الإمام بكلام حتى قال له **: لو كان عندي عدد اصحاب النبي (ص وآله) في بدر لنهضت** ..

2. **عدم ضمان نجاح القيام** : القيام وبناء الدولة لا يعتمد على ضعف الآخر فقط وإنما يحتاج الى مقدمات ومؤهلات وإستعدادات عند الطرف القائم بالأمر ، فلمّا بايع الهاشميون محمد بن عبدالله بن الحسن – النفس الزكية - قال لهم الامام عليه السلام : **لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد** . إشارة منه عليه السلام الى عدم مناسبة الوقت للقيام بهكذا مهمّة وبالتالي عدم حصولهم على النتائج المرجوة .

3. حسب بعض التحقيقات ، فلقد كانت الثورات التي يقوم بها العلويون (كثورة زيد) هي ثورات أقرب ما يكون الى ثورات تمرّد وردة فعل عن استحكام الظلم وليست ثورة تستهدف بناء دولة ، علاوة على أن بناء الدولة حينئذ كان يحتاج الى مساعدة خارجية من بعض بلدان الكفر وهذا ما لا يرتضيه أهل البيت ع لهم ..

4. **بصيرته وعلمه اللّدني** : فلقد كان الإمام يعلم علم اليقين أن الأمر سيعود لبني العباس ، ولقد صرّح بذلك لعبدالله بن الحسن عندما قال له : **والله انها ما هي لك ولا الى ابنيك ولكنها لهم وأن ولديك لمقتولان** .. ثم قال للزهري (أحد الحاضرين) : **أرأيت صاحب الرداء الأصفر** (يعني المنصور الدوانيقي) فقال نعم , قال ع : **انه سيقتله** (أي يقتل محمد بن عبدالله بن الحسن) .. وكان الإمام الصادق ع على علم من النهاية الفاشلة لتلك الثورات ، فمن كلام الإمام الرضا ع في جوابه للمأمون حيث قال : **نقل أبي موسى بن جعفر أنه سمع أبيه جعفر بن محمد يقول : لقد استشارني في خروجه (أي زيد) فقلت له يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك ، فلمّا ولّى قال الامام الصادق ع : ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه** ..

وها نحن نعيش في ظل عمل واستثمار هذا الإمام الهمام لظروف عصره وزمانه لصالح الدين وسنّة سيد المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين .. ولنا به أسوة حسنة في أيامنا هذه لو كنا على قدر المسؤولية ..

مذاهب فقهيـة وتيّارات فكريـة

مذاهب فقهية وتيارات فكرية

الإسلام هو الاسلام كأصول وفروع ، فروض وسنن .. ولكن على طول خط التاريخ الإسلامي ليس كذلك على نحو القضية الخارجية وإن كان كذلك على نحو القضية الحقيقية كما يعبّر المناطقة .. أو لنقل أن المسلمين كما هو الواقع والمتحقق ليس كما ينبغي أن يكونوا عليه ..

بل ليس المسلم أيّام الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه كما هو عليه بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى .. وهذا الاختلاف يقع على فارقين أساسيين :

الفارق الأول : الواسطة التي ينهل منها المسلمون إسلامهم ، والمعين الذي يستقون منه مشربهم ومذهبهم .. ونقصد بتأسيس قواعد وأحكام وعقائد لا أصل لها في الدين ، مثل الطريقة التي يختارون فيها الخليفة من بعد رسول الله ، أو تأسيس قاعدة عدالة الصحابة والتابعين من قبل الأعمّ الأغلب من المسلمين وأخذ الدين منهم وان كانوا مخالفين للدين او مختلفين فيما بينهم .. فتركوا الطريق الذي رسمه لهم القرآن الكريم والرسول الأمين وانحرفوا عنه ومالوا ميلاً كبيراً بإتجاه طرق مختلفة ومتعددة ..

الفارق الثاني : بغض النظر عن الطريق الذي أخذوا منه الشريعة واختاروا به ولي الأمر ، فإن المشكلة ايضاً تقع في مدى الالتزام بما يصلهم من الحقّ والصدق .. فقد وقفوا على حقائق كبيرة وناصعة إلا أنّ منحنى الالتزام بالدين انحدر وانحدر حتى بات خليفة المسلمين يعاقر الخمر ويقتل النفس المحترمة بمسمع ومرأى المسلمين .. ومن انكر عليه فقد بغى على إمام الأمة وولي أمرها .. **!!!**

نريد أن نركز هنا على الفارق الأول باعتبار أن الإمام الصادق عليه السلام اتخذ تدابيراً مهمة في ايقاف تماديه وإتساعه وبالتالي إيقاف أضراره وتأثيراته ما أمكن ..

أما كيف فعل ذلك عليه السلام فنقول :

عاش الإمام الصادق عليه السلام في عصر ما يسمّى (عصر التابعين وأتباع التابعين) ، والتابعون - كما يعرفونهم - : **هم الذين جاءوا بعد عصر النبوة ، فلم يلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما صحبوا أصحاب النبي ص وآله** ، وأما أتباع التابعين : **هم الذين لم يلقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما رأوا التابعين ، وصحبوهم .**

وتميّزت عصور التابعين بظهور ونشأة العديد من المذاهب الفكرية والعقائدية والفقهية نتيجةً للإختلاف في الرأي او في

المنهج ، أو لدوافع سياسية .. الخ ، وظهرت مدارس إسلامية عرفت بأسماء مؤسسيها او بمناهجها المتبعة او عقائدها التي تلتزم بها .. كالمعتزلة والأشاعرة ، وكالحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية والثورية .. وكمدرسة الحديث ومدرسة الرأي .. الخ .

وكان للإمام الصادق عليه السلام دور في معالجة وتصحيح هذه التصدعات والانشقاقات المتنوعة في جسد الأمة الإسلامية ، وذلك من خلال مدرسته الإسلامية الكبرى التي أسسها على أصول وقواعد القرآن العظيم وسنّة الرسول الكريم واوصياءه المنتجبين الميامين ، فكانت تضم هذه المدرسة آلاف الطلبة ، وتنوّعت علومها وتعددت تخصصاتها العلمية .. وعلى أثر ذلك استطاع عليه السلام أن يكون له تأثير كبير على تلامذته الذين اصبحوا فيما بعد أصحاب رأي ومدرسة ، كأبي حنيفة - رئيس المذهب الحنفي - ، ومالك بن أنس - رئيس المذهب المالكي - . وكذلك تأثيره الإيجابي كان على مذاهب ومدارس فكرية اخرى بعضها اندثر ، كالمذهب الثوري الذي يرجع الى سفيان الثوري والذي تلقى من الإمام الصادق عليه السلام نصائح كثيرة كما ينقلها لنا التاريخ .

يقول مالك بن أنس : « **اختلفت إلى جعفر بن محمّد زماناً فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال : إمّا مصلّياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن ، وما رأيته قطّ يحدث عن رسول الله إلّا على الطهارة ، ولا يتكلّم بما لا يعنيه ، وكان من العلماء العبّاد والزهّاد الذين يخشون الله وما رأت عين ولا سمعت**

أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً »[23] .

ويقول الهيثمي في الصواعق المحرقة : « **جعفر الصادق روى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني »**[24] .

ويقول ابو حنيفة : " **ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد ، لما أقدمه المنصور بعث إليَّ فقال : يا أبا حنيفة إنّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمّد فهيّئ له من المسائل الشداد. فهيّأت له أربعين مسألة ثمّ بعث إليّ أبو جعفر المنصور وهو بالحيرة ، فدخلت عليه وجعفر بن محمّد جالس عن يمينه ، فلمّا بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور. فسلّمت وأومأ فجلست ، ثمّ التفت إليه قائلاً : يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة. فقال : نعم أعرفه ، ثمّ التفت المنصور فقال : يا أبا حنيفة الق على أبي عبدالله مسائلك . فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول : أنتم تقولون كذا وهم يقولون كذا ونحن نقول كذا ، فربّما تابعنا وربّما تابعهم وربّما خالفنا حتّى أتيت على الأربعين مسألة ، ما أخلّ منها مسألة واحدة. ثم قال أبو حنيفة : أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس** " [25] ، وهو القائل " **لولا السنتان لهلك النعمان** " مشيراً الى السنتين اللتين تتلمذ بها عند الإمام الصادق ع .

---

23 كتاب مالك لمحمد ابو زهرة ص ٢٨

24 الصواعق المحرقة ص ١٢٠

25 مناقب ابي حنيفة للموفق ١ / ١٧٣

وأمّا وصايا الامام الصادق لسفيان الثوري ، فعن سفيان الثوري[26] قال : لقيت الصَّادق بن الصَّادق جعفر بن َمحمَّد عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول اللَّه أَوصني ؟

فقال لي : **" يَا سُفْيَانُ لَا مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ ، وَلَا أَخَ لِمُلُوكٍ (لِمَلُولٍ) ، وَ لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ ، ولَا سُؤْدُدَ لِسَيِّئِ الْخُلُقِ "**.

فقلْت : يا ابن رسول اللَّهِ زدني ؟

فقال لي : **" يَا سُفْيَانُ ، ثِقْ بِاللَّهِ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيّاً ، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرْتَهُ تَكُنْ مُسْلِماً ، ولَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيُعْلِمَكَ مِنْ فُجُورِهِ ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ "**.

فقلْت : يا ابن رسول اللَّهِ زِدني ؟

فقال لي : **" يَا سُفْيَانُ ، مَنْ أَرَادَ عِزّاً بِلَا عَشِيرَةٍ ، وغِنًى بِلَا مَالٍ ، وهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ ، فَلْيَنْقُلْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ ؟ "** .

فقلت : زدني يا ابن رسول اللَّه ؟

فقال لي : **" يَا سُفْيَانُ ، أَمَرَنِي وَالِدِي عليه السلام بِثَلَاثٍ ، ونَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لِي : يَا بُنَيَّ مَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ السَّوْءِ لَا يَسْلَمْ، وَ مَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ السَّوْءِ يُتَّهَمْ ، ومَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ "**.

---

[26] سفيان الثوري : هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المتوفى سنة :161 هجرية ، فقيه كوفي وصاحب واحد من المذاهب الإسلامية المندثرة .

ثمَّ أَنشدني فقال عليه السلام :

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَحْظَ بِهِ * إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ يَعْتَادُ**

مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ * فِي الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَعْتَادُ** [27] .

كذلك تصدى عليه السلام لفرق أخرى ضالة ، كالغلاة الذين ظهروا في عصره ، وكانت لهم أسماء بارزة في عهده (عليه السلام) ، وشكلوا فرقاً تتبنى فكر الغلاة ، وأبرز فرقة ظهرت في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) هي الفرقة الخطابية ، والتي يتزعمها محمد بن مقلاص الأسدي ، المكنى بأبي الخطاب . وقد تصدى الإمام الصادق (عليه السلام) لمحاربة هذا الغالي وأصحابه الذين قالوا بألوهيته ، وقال عيسى بن أبي منصور سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول عندما ذكر أبو الخطاب : (اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي ... اللهم أذقه حر الحديد) [28] .

[27] الخصال : 1 / 169، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ، المولود سنة : 305 هجرية بقم ، و المتوفى سنة : 381 هجرية، الطبعة الأولى، سنة : 1403 هجرية، قم/إيران

[28] اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، ص 358، رقم ٥٠٩

لسان الناطقين

وعميد الصادقين

لسان الناطقين وعميد الصادقين

لا تُقاس الروايات الصادرة عن الإمام الصادق عليه السلام وكذلك عن أبيه الباقر صلوات الله عليه من حيث الكمّ والعدد مع باقي المعصومين عليهم السلام .. فالكافي الشريف مثلاً فيه أكثر من (١٦) الف رواية ، المروي منها عن الإمام الصادق عليه السلام يفوق ال (٩) آلاف رواية ، اي اكثر من النصف .. **!!** . يقول الشيخ المفيد (قدس سره) : « وَنَقَلَ النَّاسُ عَنْهُ مِنَ الْعُلُومِ مَا سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الْعُلَمَاءِ مَا نُقِلَ عَنْه »[29] . وقال الإمام الطبرسي : " رَوى عن الإمام الصادق (عليه السَّلام) من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان ، و صنّف من جواباته في المسائل أربعمائة كتاب تسمّى الأصول رواها أصحابه و أصحاب ابنه موسى الكاظم (عليه السَّلام) " [30] . وقال المحقّق الحلّي : " كتبت من أجوبة مسائل جعفر بن محمد أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف سمّوها أُصولاً " [31] . وقال الشهيد الأول : " كتب من أجوبة الإمام الصادق (عليه السَّلام

---

29 الإرشاد ٢ / ١٧٩

30 إعلام الورى بأعلام الهدى : 284

31 المعتبر ج١ ص٢٦

) أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف ، و دوِّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل "[32] .

ولا بد من التنبيه أن رواية أحدهم هي رواية جدهم صلوات الله عليه ، فحديثهم واحد وعلمهم متوارث ومعارفهم تنتقل بسلسلة ذهبية من إمام الى إمام .. يقول الإمام الصادق عليه السلام : **" حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عز وجل "**[33] . نعم ، إظهارها ونشرها خاضع لظروف كل عصر وما تقتضيه الحكمة في حينها ..

نعود لبداية الكلام ونقول : أن السبب المعروف وراء هذه الكثرة من روايات الإمام الصادق عليه السلام هو الفسحة النسبية التي عاشها صلوات الله عليه ، حيث شهدت إمامته نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية ، والدول تكون ضعيفة في هاتين الفترتين في العادة ، علاوة على أن الدولة العباسية في الأصل قامت على مبدأ نصرة أهل البيت والأخذ بثأرهم ..

أضف الى ذلك انتعاش المسائل والمجادلات العلمية والفكرية والعقدية والفقهية ونموّ الحركات والتيارات والمذاهب المختلفة في هذه الفترة ، وهي فترة التابعين واتباع

---

32 ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٦

33 بحار الأنوار ، ج٢ ص١٧٩

التابعين ، فبدأت بوادر الابتعاد عن الرسالة كزمن وابتعاد المسلمين عن حملتها الحقيقيين ظهور مثل هكذا انشقاقات واجتهادات واختلافات في جسد الأمة .. أضف الى ذلك ايضاً انفتاح المسلمين بفعل الغزوات على ثقافات الأمم والشعوب التي دخلوها ، فنقلوا علومهم وتجاربهم وشبهاتهم ومعتقداتهم وتشكيكاتهم ايضا ، وانعكس كل ذلك على طبيعة تلقي واعطاء العلوم الشرعية والمسائل الفكرية .. وكذلك قد تيسّرَ للإمام الصادق وجود أعداد غفيرة من الطلبة وحملة الحديث والمهتمين بعلوم الشريعة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام وهم بالآلاف كما بيّنا أكثر من مرّة . فحفظوا عنه الحديث ودوّنوه ونقلوا علمه وتعاليمه في الأصقاع ، غير الخواصّ من أصحابه الذين كانت له قيمة مضافة نسبةً الى الأدوار المضافة التي نهضوا بها وفازوا برضا الإمام عليه السلام ومدحه إيّاهم . وفوق كل هذا هو استثمار الإمام الصادق عليه السلام لهذه الظروف خير استثمار والإعراض عن كافة الجوانب الأخرى ، كالعروض السياسية التي قُدمت له في تولّي الخلافة ، والثورات التي قادها العلويون في زمانه ، كذلك حرصه على عدم اعطاء ذريعة للسلطة الحاكمة تمنعه فيها من ممارسة عمله العلمي والفكري .. فكان يعلم صلوات الله عليه كمال العلم أن الأنفع في فترته هو بث علوم الدين ومواجهة التيارات المنحرفة وترسيخ الأصول الإسلامية الصحيحة والمتينة وتخريج الفقهاء والعلماء والرواة وملىء الساحة بهم .. وكان يعلم ان الظرف غير متاح للدولة ولا للثورة ، فلقد أجاب أبا مسلم الخراساني عندما عرض عليه التحرك لمسك زمام الدولة بقوله : **" لا أنت من رجالي ولا الزمان زماني "** ، وحرَقَ عليه

السلام كتاب ابي مسلم الخلّال ايضا عندما بعثه اليه لنفس الغرض .. حَرصَ صلوات الله عليه على نقل الحديث الشريف وتدوينه ودرايته ونشره وحفظه وتعليمه .. عنه عليه السلام : **(من أراد الحديث لمنفعة الدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب ، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة)**[34] . وكان حريصاً على الجهة التي ينبغي أن يؤخذ منها الحديث ، يقول عليه السلام : **(والله ما جعل الله لأحد خيرة في اتّباع غيرنا وإن من وافقنا خالف عدوّنا ، ومن وافق عدوّنا في قول أو عمل فليس منّا ولا نحن منهم)**[35] . وكان يشدد على فهم الحديث ووعيه ودرايته وعدم الاقتصار على روايته ، عنه عليه السلام : **(حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجها لنا من جميعها المخرج)**[36]، ويقول ايضاً : **(أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا ، إنّ الكلمة لتنصرف على وجوه ، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب)**[37]. وعن علي بن حنظلة ، قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : **(اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنّا)**[38] . فهو لسان الناطقين وعميد الصادقين حقّا ..

---

[34] الكافي ١ / ٤٦

[35] وسائل الشيعة ٢٧ / ١١٩

[36] معاني الأخبار ٢

[37] بصائر الدرجات ١ / ٣٢٩

[38] الكافي ١ / ٥٠

فتنة السيد
(اسماعيل)
بن الامام الصادق ع

فتنة الإسماعيلية

كان للإمام الصادق عليه السلام ولداً اكبر اسمه اسماعيل ، وكان صالحا تقياً ويحظى بمنزلة كبيرة عند أبيه عليه السلام ، الا أنه توفي في حياة أبيه الصادق ع وحزن عليه الإمام حزناً شديدا[39] ..

غير أن المشكلة حصلت بإعتقاد جماعة من الشيعة أن الإمام من بعد الامام الصادق ع هو ولده اسماعيل ، فمنهم من قال أنه لم يمت وإنما غاب وسيظهر بعد فترة من الزمن ، وآخرون يقولون بأنه مات وأصبح ابنه محمد إماماً من بعده واستمرت في ذريتهم الإمامة تنتقل من الأب الى الولد ..

ويعزون سبب اعتقادهم بإمامة اسماعيل ابن الإمام الصادق ع لأمور ، منها :

1. بأنه ولده الاكبر .. والإمامة عادة تكون للأكبر ..
2. صلاحه وتقواه وهديه ومنزلته عند أبيه عليه السلام ..

---

[39] ذكر ابن خلدون أنه توفي في المدينة سنة ١٤٥ هج ودفن بالبقيع ، ويقول المقريزي انه توفي سنة ١٣٨ هج .

3. يستندون الى روايات ويستظهرون منها الوصية بإمامة السيد اسماعيل ..

غير أن هذه العقيدة المنحرفة رُدّت بعدّة ردود ، نذكر منها :

1. لا يوجد نص شرعي يحصر الإمامة بالولد الأكبر ، ولا توجد ملازمة عقلية تحتّم ذلك ..

2. الصلاح والتقوى ومنزلته عند أبيه بنفسهما لا تنصب إماما ، فضلاً عن إتصاف الامام الكاظم عليه السلام بهذه الصفات وأكثر ، فيكون ترجيجاً بلا مرجّح ..!

3. لقد نصّ الرسول ص وآله على اسماء الائمة بالإسم والتسلسل .. وحسب هذا النص فإن الامامة لموسى الكاظم عليه السلام (سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ، المتوفى سنة : 1294 هجرية ، بالإسناد إلى جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله (صلَّى الله عليه و آله) : **" يا جابر إن أوصيائي و أئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ـ ستدركه يا جابر ، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام ـ ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم القائم ، اسمه اسمي و كنيته كنيتي ، محمد بن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تبارك و تعالى على يديه مشارق**

الأرض و مغاربها ، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من إمتحن الله قلبه للإيمان " .

4. قد نص الامام الصادق عليه السلام على إمامة ولده موسى الكاظم ع .. وهذا يقطع كل جدال .. عن محمد بن الوليد : سمعت علي بن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول لجماعة من خاصته وأصحابه : **استوصوا يابني موسى خيراً ، فإنه أفضل ولدي ، ومن أخلفه من بعدي ، وهو القائم مقامي ، والحجّة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي**[40] ..

5. لقد توفى اسماعيل رضوان الله عليه في حياة أبيه فكيف يكون إماماُ بعده ..!!

6. قول الإمام الصادق ع (**أنّه ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء كما ظهر له في اسماعيل ولده**) ، ويوجه الشيخ المظفر هذا القول : معنى قول الامام عليه السلام : أنّه ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء كما ظهر له في اسماعيل ولده ، إذ اخترمه قبله ليعلم الناس أنّه ليس بإمام ، وقد كان ظاهر الحال أنّه الاِمام بعده لأنّه أكبر ولده ...

7. الروايات التي استندوا اليها تم ردّها من قبل العلماء بتفصيل ليس هنا محله ..

بعض من عقيدتهم : " انهم يعتقدون ان الأرض لاتخلو من حجة و حجة الله على قسمين : ناطق أو صامت . الحجة الناطقة

---

40 الإرشاد ٣١٠

هو النبي و الحجة الصامتة هو الولي والإمام وهو وصي النبي والحجة في كل حال مظهر تام للربوبية .

تدور رحى الحجية على السبع بمعني انه يبعث نبي ذو شريعة وولاية ومن بعده سبعة أوصياء كلهم في مقام واحد إلا ان السابع نبي ايضا و له ثلاث مراتب : النبوة والوصاية والولاية ، ثم لهذا السابع سبعة اوصياء و هلمّ جرا .

يقولون بعث آدم عليه السلام بالنبوة والولاية وكان له سبعة اوصياء والسابع كان نوح عليه السلام وكان نبيّاً ووصيّاً ووليأً وكان ابراهيم عليه السلام الوصي السابع لنوح ، وموسى الوصي السابع لإبراهيم وعيسى الوصي السابع لموسى والنبي محمد صلي اله عليه و آله الوصي السابع لعيسي ومحمد بن إسماعيل الوصي السابع لمحمد صلي الله عليه و آله و سلم . فبعد النبي يعتقدون بإمامة علي بن أبي طالب ثم الحسين ثم علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم إسماعيل ثم محمد بن إسماعيل (انهم لا يعتقدون بامامة الحسن عليه السلام) . ثم من بعد محمد بن اسماعيل هناك سبع ائمة مستورون ولا يعرف احد أسماءهم ثم سبعة أولهم عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية بمصر ومن بعده خلفاء الفاطميين الاخر .

الإسماعيلية يعتقدون انه مع الحجة هناك اثني عشر نقيبا الذين هم خواص الحجة و معاضديه وبعضهم (الدروز) يعتقد ان ستة من النقباء هم ائمة و ستة من غير الائمة " [41].

---

[41] نشرت هذه الإجابة على الموقع الالكتروني للشيخ مكارم الشيرازي دام ظله .

(التفريع)
من أُسُس مدرسة
الأمام الصادق ع

التفريع

لكل علم موضوع واحد ومسائل كثيرة قد تصل الى مئات أو الاف المسائل ، ثم أن لكل مسألة الكثير من القواعد والأصول التي هي بمثابة قانون قابل للإنطباق على الاف التفريعات والتطبيقات ..

ويحاول كل استاذ أو حاضرة علمية أو كتاب وموسوعة علمية معينة الى استقصاء بعض أو كل مسائل ذلك العلم ، ومن ثم تليها محاولة أخرى في وضع بعض او كل القواعد المكتشفة لتلك المسائل المعروضة .. وقد تتعدى الى بعض أهم تطبيقاتها وتفريعاتها .. وهذا كله واضح ومسلّم به ..

ولم يخرج الدين الحنيف عن هذا الأسلوب العلمي والعملي في بيان العلوم الدينية وتعلّمها .. فلا نتوقع من القرآن الكريم أنه سيتعرض الى جميع التفاصيل المتعلقة بتطبيق الدين وانما يعطي أصولها المهمة والعامة ، ثم يجعل للرسول والحجج من بعده توضيح وتبسيط تلك الأصول القرآنية ..

وكذلك ايضاً لا نتوقع من السنّة المعصومية أن تتطرق لكل التفريعات والتطبيقات ، وانما ايضاً يحيلون عليهم السلام الى علماء وفقهاء المسلمين التوسع والتفرع عن تلك الاصول ..

ولعل هذا الأمر نراه جلياً في مدرستي الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ، وذلك بسبب البحبوحة الزمنية التي توفرت لأمامتهما أبّان تبدل خلافة المسلمين المغصوبة من الأموية الى العباسية وتحت غطاء اعلامي كاذب وخادع قام به بنو العباس بالدعوة الى ال محمد صلوات الله عليهم ..

فثبّتت مدرستهما عليهما السلام الكثير من الأصول الفقهية والعقائدية التي يحتاج اليها المسلمون ، وتخرج عنهما الاف الطلبة والفقهاء الذين أسسوا فيما بعد مدارساً ومذاهباً معروفة .. ولهذا نرى أن الامام الصادق عليه السلام يشير الى هذه النكتة ويعلّم طلبته واتباعه كيف يستفيدون من علمه ويجنون ثمار درسه ، حيث يقول لهم عليه السلام : (**إنَّما علينا أن نلقي عليكم الأصول وعليكم أن تفرّعوا**) [42].

وهذه البديهة الدراسية العلمية هي بعينها أذناً ان لم تكن تكليفاً على الأمة في وجوب تعلم كلام أهل البيت وتعلم أسس الاستفادة منه والتفريع عنه وهو ما نسميه بالاستنباط والاجتهاد الفقهي في الوقت الحاضر .. فعندما يقول المعصوم ما مضمونه (لا تنقض اليقين بالشك) أو (كل شيء لك حلال

---

[42] وسائل الشيعة: ج 18، ص 40 ، ح 51

حتى تعلم حرمته) .. فإن الفقهاء صاغوا منهما قاعدتين اصوليتين ، هما الاستصحاب والبراءة اللتان استُنبط منهما مئات الفتاوى الفقهية .. وهكذا

نخرج بنتيجة بديهية ومهمة : أن العلوم الدينية لا تخرج عن باقي العلوم الأخرى في طريقة ووسائل عرضها وتعليمها والاستفادة منها ، فكل العلوم تحرص على اعطاء مساحة خاصة ومهمة للأستاذ في مرحلة التأصيل وللمستفيد في مرحلة التطبيق .. وتبقى قاعدة رجوع الجاهل الى العالم قاعدة يفرضها العقل ويقرّها الدين ويحتّمها طبيعة العلوم نفسها .

وفي مقابل ذلك حذّر الإمام الصادق عليه السلام من اتّباع بعض الطرق غير العلمية وغير الشرعية للوصول الى الأحكام الشرعية والافتاء بها ، كمحاربته لأهل الرأي والقياس في وقته ، حيث عُرفت في أيامه عليه السلام مدرستان فقهيتان ، هما مدرسة أهل الحديث والنص ، وهذه مركزها المدينة المنورة والحجاز ، ومدرسة أهل الرأي وهذه مركزها العراق .. وحصل بين المدرستين تاريخياً شدّ وجذب .. ولهذا نسمع من الإمام الصادق عليه السلام ما يحذّر من إعمال الرأي والعقل في استنباط الشريعة :

● الكافي ـ عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان بن عثمان عن أبي شيبة

الخراساني قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول **إن اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحق إلاّ بعدا، وان دين الله لا يصاب بالمقاييس .**

● الكافي عن محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شإذان عن صفوان بن يحيى عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله (عليه السلام) **قال إن السنّة لا تقاس ، إلاّ ترى أن المرأة تقضي صومها ، ولا تقضي صلاتها ، يا أبان إن السنة إذا قيست ، محق الدين .**

● أمالي المفيد ـ قال أخبرني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال حدثنا علي بن الحسين السعد أبادي قال حدثنا أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله (عليه السلام) **قال لعن الله أصحاب القياس فانهم غيروا كلام الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) واتهموا الصادقين (عليهم السلام) في دين الله .**

● كنز الكراجكي ـ عن الصادق (عليه السلام) قال **اياكم وتقحم المهالك باتباع الهوى والمقاييس ، قد جعل الله للقرآن أهلا ، أغناكم عن جميع الخلائق لا علم إلاّ ما أمروا به قال الله تعالى (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) ايانا عنى .**

● ما رواه القاضي النعمان في دعائم الإسلام عن الإمام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه أنه قال لأبي حنيفة وقد دخل عليه : **يا نعمان ، ما الذي تعتمد عليه فيما لم تجد فيه نصًّا من كتاب الله ولا خبراً عن الرسول صلى الله عليه وآله** ؟ قال : أقيسه على ما وجدت من ذلك ، قال له : **إن أول من قاس إبليس فأخطأ ، إذ أمره الله عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام ، فقال : أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، فرأى أن النار أشرف عنصراً من الطين ، فخلده ذلك في العذاب المهين ، أي نعمان ، أيهما أطهر المنى أم البول** ؟ قال : المنى ، قال : **فقد جعل الله عز وجل في البول الوضوء ، وفى المني الغسل ، ولو كان يحمل على القياس لكان الغسل في البول ، وأيهما أعظم عند الله : الزنا أم قتل النفس** ؟ قال : قتل النفس ، قال : **فقد جعل الله عز وجل في قتل النفس شاهدين ، وفي الزنا أربعة ، ولو كان على القياس لكان الأربعة الشهداء في القتل ، لأنه أعظم ، وأيهما أعظم عند الله : الصلاة أم الصوم** ؟ قال : الصلاة ، قال : **فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الحائض أن تقضى الصوم ، ولا تقضى الصلاة ، ولو كان على القياس لكان الواجب أن تقضى الصلاة ، فاتق الله يا نعمان ، ولا تقس ، فإنا نقف غداً ، نحن وأنت ومن خالفنا بين يدي الله ، فيسألنا عن قولنا ، ويسألكم عن قولكم ، فنقول : قلنا : قال الله وقال رسول الله ، وتقول أنت وأصحابك : رأينا وقسنا ، فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء**[43] .

43 دعائم الإسلام ج١ ص٩١

هل قال الإمام الصادق ع ولدني أبو بكر مرتين ..؟!

هل قال الإمام الصادق ع ولدني أبو بكر مرتين

ورد في بعض المصادر الروائية أن الإمام الصادق عليه السلام قال : « **ولدني أبو بكر مرتين ..** » .. بأعتبار أن أمّه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وجّدته لأمّه هي اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر .. فممن نقلها صاحب كشف الغمة عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي (كشف الغمة للإربلي ج2 ص374) ..

ولقد تصدّى محققونا لهذه الرواية وردّوها بعدة ردود نحاول اختصارها وتوضيحها هنا من غير ذكر صاحب الردّ :

1. من حيث السند : فإنها تذكر في سياق ذكر فضائل ابي بكر في بعض كتب العامة من دون مراعاة صحّة وسقم السند ، وهي ضعيفة سنداً حسب الميزان العلمي لأنّ في سندها عبد العزيز بن محمّد الأزدي ، وهو مجهول ، قال فيه ابن قطّان : عبد العزيز لا يُعرف ..

2. لم يرد لفظ الصدّيق كلقب لأبي بكر في الحديث ، وأول من أضافه الذهبي حسب تتبع بعض المحققين .. ولكون أبو أم فروة (أم الإمام ع) اسم ابيها القاسم ابن محمد .. ولشهرة

اسم القاسم ابن محمد ابن ابي بكر الصديق .. اعتقد انه هو مع أن اسم القاسم بن محمد كثير وروده في التاريخ والرجال ..

3. وإن سلّمنا أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال : (ولدني أبو بكر مرّتين) وأنه قصد ابا بكر الصديق ، فلا دلالة في كلامه هذا على الثناء والتعظيم ! بل من المحتمل وحسب الظاهر أنّه ذكر ذلك عند تفصيل حال الآباء والأُمّهات ، لأنّ أُمّ الإمام (عليه السلام) هي أُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وأُمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فيكون أبو بكر جَدّاً لأُمّ فروة من جهة الأب ومن جهة الأُمّ ، فعبّر الإمام بهذا التعبير .. ولا يحتاج الإمام الصادق عليه السلام لنسب فوق نسب رسول الله ص وآله فضلاً وكرامة ..

4. قد خرج من أبي بكر محمد بن أبي بكر ولم يزد أبيه فضلاً لأن الطيب قد يخرج من الخبيث .. وقد روي عن الإمام الصادق قوله في محمد بن أبي بكر رحمه الله : **أنجب النجباء من أهل بيت سوء ، محمد بن أبي بكر** (رجال الكشي ص63 ط جامعة مشهد عنه في قاموس الرجال ج9 ص19 ط جماعة المدرسين) ..

٥. قد تكون الرواية صادرة عن تقيّة او لحكمة معينة رآها صلوات الله عليه وحتمتها الظروف في وقتها .

ونضيف : أن الإمام الصادق عليه السلام يهتم ويفتخر بالاتصال السببي أكثر من النسبي حتى مع نسبه العلوي الشريف – فكيف بغيره ..! - ولهذا نسمعه يقول : **ولايتى لعلىّ**

بن أبى طالب أحبّ إليّ من ولادتي منه ، لأنّ ولايتي له فرض ، وولادتي منه فضل[44] .

وبنفس الوقت لا يعتبر هذا النسب مثلبة على الإمام (الزوج والإبن) ولا على أمّ فروة نفسها – رضوان الله عليه - كذلك والتي كفاها فخراً أن تكون زوجة معصوم وإمّاً لمعصوم . لأن زواج المعصومين عامة – الأنبياء والائمة – وأهل بيت النبوة بالخصوص من أزواج أو بيوت عليهم علامات استفهام معينة فيما يخص العقيدة واتباع الحق لا يحطّ من مكانتهم ولا يقلل من شأنهم وإنما هذا يقع في سياق حكمة ظرفية او تاريخية وأمور معينة قد نعرف بعضها ونجهل أكثرها .. فكانت كل من أمرأة نوح وامرأة لوط ليستا بالمستوى الذي يكونا فيه زوجات انبياء ، وقد صرّح القرآن الكريم بذلك (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) التحريم ١٠ .

ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوّج من عائشة بنت أبي بكر ، وتزوج من حفصة بنت عمر بن الخطاب ، فلا توجد مشكلة شرعية ولا عقلية في هذا الأمر .

نعم قد يصبح الاعتراض وجيهاً أكثر إذا كانت الزوجة ذات اعتقاد او سلوك منحرف وأصبحت وعاءً للمعصوم ، فهذا ما ترفضه أصول وأدبيات عقيدتنا .

ولو رجعنا إلى السيدة أم فروة سنرى أنها على درجة عالية من الفضل ، يقول عنها ولدها الإمام الصادق عليه السلام :

---

44 يحار الأنوار ٣٩ / ٢٩٩ / ١٠٥

كانت أمي ممن آمنت ، واتقت ، وأحسنت ، والله يحب المحسنين[45] . وقال عنها المسعودي في كتابه اثبات الوصية : كانت من أتقى نساء زمانها [46]. وكان البعض يعبّر عن الإمام الصادق (ع) أنه ابن المكرّمة[47] .

وروى الكليني في الكافي بسنده عن عبد الأعلى قال : رأيت أُمّ فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متنكّرة ، فاستلمت الحجر بيدها اليسرى ، فقال لها رجل ممّن يطوف : يا أمة الله أخطأت السنة ، فقالت : إنّا لأغنياء عن علمك[48] .

وأمّا أبوها – جد الصادق ع لأمّه – وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر فكان جليل القدر ومن الفقهاء الأجّلاء ، في رواية للإمام الصادق : **" كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَبُو خَالِدٍ الْكَابُلِيُّ ، مِنْ ثِقَاتِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ(عليهما السلام) "**[49] . وقال عنه الشهيد الثاني : " قال الشهيد الثاني: «أحد فقهاء المدينة المتّفق على علمه وفقهه بين المسلمين "[50] .

وأما جدّها فهو محمد بن أبي بكر ، أشهر من نارٍ على علمٍ في ولايته لأمير المؤمنين ومعارضته بل برائته من خلافة أبيه

---

[45] الكافي ج١ ص٤٧٢

[46] المسعودي ، اثبات الوصية ، ص١٥٢

[47] عباس القمي ، الأنوار اليهية ص ١٥٠

[48] الكافي ج٤ ص٤٢٨

[49] الكافي ج١ ص٤٧٢

[50] منية المريد ص ٢٨٦

أبي بكر ، فتربى في كنف ورعاية أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن تزوج أمير المؤمنين من أمّه ..

ولإبعاد الشبهة أكثر نقول : أن سبعة من أمهات الأئمة هن من الإماء و الجواري ، وقد تم إختيارهن من قِبل الأئمة عليهم السلام كزوجات لأسباب وحِكَم معيّنة وكنّ على درجة عالية من الفضل ، وهؤلاء الأئمة هم :

- الامام علي بن الحسين زين العابدين السجاد رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وأمّه أميرة فارسية جليلة سليلة الملوك تُسمى شاه زنان شهربانو (ملكة النساء) ، وهي بنت يزدجرد آخر ملوك العهد الساساني ، وقعت في الأسر فتزوجها الامام الحسين بن علي عليه السلام فولدت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

- الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام سابع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أمه حميدة البربرية أو المغربية بنت صاعد البربري ، اشتراها الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وتزوجها فولد موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، فهي أم ولد و تُلقَّب بـ "المصفاة".

- الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أمه تُكتم ، و تسمى أيضا طاهرة و نجمة ، و هي أم ولد و لقبها شقراء ، و كنيتها أم البنين ، كانت جارية للسيدة حميدة زوجة الامام جعفر الصادق عليه السلام فوهبتها لابنها موسى بن جعفر، و قالت : يابني إن تكتم جاريةٌ

ما رأيت قط أفضل منها... و قد وهبتها لك ، فتزوجها فولدت علي بن موسى الرضا عليه السلام .

الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام ، تاسع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أمه سبيكة ، و هي أم ولد ، وتُكنّى أم الحسن ، ذكر المؤرخون لها أسماءً أخرى ، منها : مريسية ، درة ، ريحانه ، ويبدو أن الامام الرضا (عليه السَّلام) سمّاها "خيزران" ، تزوجها الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام فولدت محمد بن علي الجواد عليه السلام .

الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أمه سمانة المغربية ، وهي أم ولد ، اشتراها الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام ، فتزوجها فولدت علي بن محمد الهادي عليه السلام .

الامام الحسن بن علي العسكري الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أمه حديث ، وتسمى أيضاً : سليل وسوسن ، وهي أم ولد .

الامام محمد بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، أمه نرجس ، وهي أميرة رومية بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وأُمّها من ولد الحواريين تنسب إلى شمعون وصي المسيح عليه السلام .

الإمام الصادق
ودوره في إظهار وبناء
قبر جدّه أمير المؤمنين
عليهما السلام

اخفاء القبر الشريف :

مسألة اخفاء قبر أمير المؤمنين عليه السلام على عموم المسلمين وخصوص اعداء اهل البيت عليهم السلام من المسائل التاريخية الهامّة والتي تعطي للنبيه والمثقف فضلاً عن العالِم والمختص الكثير من الدلائل وتفسّر له الكثير من المبهمات وتوضّح له الكثير من الحقائق ..

فعن أبي جعفر عليه السلام قال : **إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر إبنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور في أربعة مواقع ، في المسجد وفي الغري وفي دار جعدة بي هبيرة المخزومي وفي الرحبة ، وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعداءه موضع قبره**[51] . وقد أجاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام سؤال صفوان الجمال عن السبب الذي منع أهل البيت عليهم السلام من إظهار القبر ، فقال عليه السلام : (**حذراً من بني مروان والخوارج أن تحتال في أذاه)**[52] .

وحاول اعداءه فعلاً في ذلك ولكنهم خابوا وخسئوا ، حيث نقل الشيخ جعفر محبوبه عن كتاب " منتخب التواريخ " انَّ الحجاج بن يوسف الثقفي حفر ثلاثة آلاف قبر في النجف طلباً لجثة أمير المؤمنين عليه السلام [53] .

وبيّن السيد ابن طاووس سبب الإخفاء قائلاً : (فاقتضى ذلك أن أوصى بدفنه عليه السلام سراً ، خوفاً من بني أمية

---

[51] فرحة الغري ٣٢

[52] فرحة الغري ١٢٦

[53] ماضي النجف وحاضرها ص ٣٩

وأعوانهم والخوارج وأمثالهم ، فربما إذا نبشوه مع علمهم بمكانه حمل ذلك بني هاشم على المحاربة والمشاققة التي أغضى عنها عليه السلام في حال حياته ، فكيف لا يوصي بترك ما فيه مادة النزاع بعد وفاته ؟ وقد كان في طَيِّ قبره فوائد لا تحصى غير معلومة لنا بالتفصيل) [54].

إظهار وتحديد القبر الشريف :

استمرّ اجراء اخفاء قبر أمير المؤمنين عليه السلام ساري المفعول - الا على الائمة وثلة من خواصهم - من سنة أربعين من الهجرة وحتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية في عام 132هـ/749م . وبعد زوال الخوف والحذر أظهر الإمام جعفر الصادق القبر الشريف ودلَّ عليه شيعته وأمرهم بزيارته عندما ورد العراق بطلب من الخليفة الأول لبني العباس أبي العباس السفاح ، إذ التقاه في الحيرة ، وبنى الإمام عليه السلام على القبر دكّة للدلالة عليه .

قال الشيخ المفيد بهذا الصدد : (فلم يزل قبره عليه السلام مُخفىً حتى دَلَّ عليه الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في الدولة العباسية) [55] . وروى إسحاق بن جرير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام انه قال : (إنيّ لما كنت بالحيرة عند أبي العباس ، كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً

54 فرحة الغري ٢٢٦

55 الإرشاد للشيخ المفيد ص١٠

، وهو بناحية نجف الحيرة ، الى جانب غري النعمان ، فأصلي عنده صلاة الليل وأنصرف قبل الفجر)[56] .

إشهار وبناء القبر الشريف :

وقد تعددت زيارات الإمام الصادق عليه السلام لقبر جده سيد الأوصياء صلوات الله عليه في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وفي إحدى هذه الزيارات أعطى الإمام عليه السلام صفوان الجمال مبلغاً من المال لإصلاح القبر . قال صفوان : (قلتُ يا سيدي : أتأذن أن اخبر أصحابنا من أهل الكوفة به ؟ قال نعم ، وأعطاني دراهم ، وأصلحتُ القبر)[57] .

وبهذا يتضح أن أول من أظهر القبر وحدد ملامحه وبنى عليه هو الإمام الصادق عليه السلام في سنة ١٣٢ للهجرة وليس هارون الرشيد سنة ١٧٠ للهجرة في قصة الصيد المشهورة عنه . والقصة ذكرها الشيخ المفيد في "الإرشاد" بقوله : (وروى محمد بن زكريا ، قال : حدثنا عبدالله بن محمد عن ابن عائشة ، قال : حدّثني عبدالله بن حازم ، قال : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد ، فصرنا إلى ناحية الغريّين والثويّة فرأينا ظباء ، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ، ثم لجأت الظباء إلى أكمة فوقفت عليها فسقطت

---

[56] فرحة الغري ١٩٤

[57] فرحة الغري ٢٢٦

الصقور ناحية ورجعت الكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ، ثمَّ إنَّ الظباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الصقور والكلاب ، ففعلت ذلك ثلاثاً .فقال الرشيد هارون : اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به ، فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال له هارون : أخبرني ما هذه الأكمة ؟ قال : إنْ جعلتَ لي الأمان أخبرتُك . قال : لك عهد الله وميثاقه ألاّ أهيجك ولا أوذيك . فقال : حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون إنَّ في هذه الأكمة قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلاّ أمن) ٢٧/١ .

ونقل ابن طاووس رواية جاء فيها : (وفيما ذكر ابن طحّال : إنَّ الرشيد بَنى عليه بنياناً بآجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم ، من كلّ جانب بذراع ، ولمّا كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً عليه تربةً وجصّاً ، وأمر الرشيد أنْ يُبنى عليه قُبّة ، فبُنيت من طين أحمر ، وطرحَ على رأسها جرّة خضراء ، وهي في الخزانة إلى اليوم)[58] .

[58] فرحة الغري ٢٧٣

أصحاب الإمام الصادق
ـ عليه السلام ـ

أصحاب الإمام الصادق ع

يمثل أصحاب الإمام الصادق عليه السلام علامة فارقة ومميزة في حياة هذا الإمام الهمام ، والتميّز نابع من أمرين واضحين هما :

الأول : العددي ، حيث أحصى رجال الحديث الرواة الذين ينقلون عن الإمام الصادق عليه السلام فوجدوهم (٤٠٠٠) أربعة آلاف رجل .

الثاني : نوع الصحبة : فلو دققنا في أصحاب المعصومين عليهم السلام وابتداءً من جدّهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لوجدنا أن صحبة كل معصوم لها شكل خاص تقريباً ، أو لنقل أن أصحاب كل واحد منهم لهم دور ينسجم مع دور المعصوم الذي تشرفوا بصحبته ، ولمّا كان الائمة لهم أدوار متعددة ووظائف متنوعة بحسب ظروف عصرهم وواجبات إمامتهم ، فإن أصحابهم كذلك ، تنوّعت طبيعة صحبتهم تبعاً لمن صحبوه . لإن الصاحب هو المُرافق والمُلازم والمُعاشر لمن يصحبه ، فلا بد أن يدور أمر صحبته مداره ..

فأصحاب رسول الله كان لهم دور الدعوة الى الدين والدفاع عن شريعة سيد المرسلين ضد الشرك والكفر والمنافقين ، بأنفسهم وأموالهم .. بينما تحتّم على أصحاب ابي عبدالله الحسين عليهم السلام أن يكون لهم دور التضحية والفداء في كربلاء نصرةً لقيام إمامهم وثورته الخالدة .

وأما الإمامان الباقر والصادق عليهم السلام ، وخاصة الإمام الصادق ، فإن صحبته كانت عبارة عن التلمذة على يديه والجلوس تحت منبر درسه وأخذ الحديث منه والاستماع الى مختلف العلوم التي يلقيها على حضّار درسه ومجلسه ..

فأصحاب الصادق هم تلامذته ومن حضر درسه ونقل عنه ، وكان هذا النوع من الصحبة محط اهتمام الإمامين الصادقين عليهم السلام ، وهذا ما أكد عليه الإمام الباقر لإبنه الصادق في وصيته ، فروى محمد بن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال : **" لما حضرت أبي الوفاة قال : يا جعفر ، أوصيك بأصحابي خيرا ، قلت : جعلت فداك ، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحدا "[59].**

لاحظ كيف خصص الإمام الصادق نوع الوصية بالأصحاب ، اي حددها بتعليمهم وتفقههم في الدين ، ولذلك نسمع من

59 المفيد ، الإرشاد ج٢ ص١٨٠

الإمام الصادق ع يقول : **لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا**[60] **.**

نعم ، تتفاوت الصحبة في ما بين هذا العدد الكبير ، فبعضهم يُعتبر من خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقد ميّزهم عن غيرهم ، وذلك لمستوى علمهم وسموّ إيمانهم وتبعاً للأدوار التي قاموا بها ، فمثلاً نسمعه يقول : **زرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم وبريد من الذين قال الله تعالى : ((والسابقون السابقون اولئك المقربون)) .**

وروى الكشي (رحمه الله) عن أبي عبد الله (عليه السَّلام) أنه قال : " زرارة و بريد بن معاوية ، ومحمد بن مسلم ، والأحول ـ أي مؤمن الطاق ـ أحب الناس إليَّ أحياءً و أمواتاً ... " .

ورفع الإمام الصادق هشام بن الحكم بقوله : **هشام بن الحكم رائد حقّنا ، وسائق قولنا ، المؤيد لصدقنا ، والدافع لباطل أعدائنا ، من تبعه وتبع أثره تبعنا ، ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا** [61] .

---

[60] الكافي ج١ ص٣١

[61] رجال الخوئي ج٢٠ ص٣٠٠

فلاحظ معي ، أن صحبة الإمام الصادق ع الخاصة والعامة تدور حول تلقي العلوم منه وحفظها والدفاع بها عن الإسلام ضد الأفكار الضالّة والمنحرفة .

ولقد منّ الله علينا بالمدونين من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ، وخاصة أصحاب الأُصول الاربعمائة ، وهي أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف ، عليها مدار العلم والعمل من بعده . وخير ما جمع منها كتب أربعة هي مرجع الإماميّة في أُصولهم وفروعهم إلى إليوم ، وهي « الكافي » و « من لا يحضره الفقيه » و « التهذيب » و « الاستبصار » .

و« الكافي » ـ للكلينيّ أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكلينيّ (329) ـ أعظمها وأقومها، وأحسنها وأتقنها ، فيه 16190 حديثاً ألّفه الكلينيّ في عشرين سنةً ، وأمّا كتاب « من لا يحضره الفقيه » فوضعه ابن بابويه القمّيّ محمّد بن عليّ بن موسي بن بابويه القمّيّ الملقّب بالصدوق ، دخل بغداد سنة 350 ومات بالريّ سنة 381 ه)، وفيه 5963 حديثاً ، وهذا الكتاب أهمّ مؤلّفاته . وأما التهذيب والاستبصار فهما لشيخ الطائفة الطوسي ، وهو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (385 – 460 هـ) المعروف بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي .

زرارة بن أعين

السفينة التي خرقها (أعابها) الإمام الصادق

– عليه السلام -

لم يكن أصحاب الائمة عليهم السلام في منأى عن ظلم الطغاة وجور السلاطين على طول خط التاريخ ، والوقائع والأحداث تشهد بذلك .. ولا زالت ..

واجتهد الائمة وأصحابهم في حفظ أنفسهم وممارسة أنواع التقية من أجل هذا الهدف المهم والمشروع والذي به يحفظ الدين وثلّة المؤمنين .

فمثلاً : تذكر لنا الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام استعمل لغة الذم مع زرارة بن أعين - في بعض الأوقات - من أجل إبعاده عن رقابة وتربّص السلطات الحاكمة في ذلك الوقت .. لاسيما أنه كان وليد بيت كبير ضرب بجرانه الكوفة وأطرافها ، وكان معاشراً لأكابر السنّة وحكّامهم وقضاتهم ، وكان في بيته من لم يتشيّع بعدُ ، وكان أعداء أهل البيت يكنّون العداء لشيعتهم ومن أعلن الولاء لهم .

ولهذا نجد هنالك روايات مادحة لزرارة بن أعين مثل قول الإمام الصادق ع : **" لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي عليه السلام ستذهب "** ، بينما توجد روايات ذامّة له من قبيل ما

جاء عن الزعفراني ان ابا عبدالله الصادق قال : **" ما أحدث أحد في الاسلام ما أحدث زرارة من البدع ، لعنه الله "** [62] .
وعن ليث المرادي ان الصادق قال : " لا يموت زرارة الا تائهاً " [63] .

ولكن ما يحلّ هذا التعارض هو ما ورد عن الإمام الصادق نفسه صلوات الله عليه والذي بيّن من خلاله السبب وراء أخبار الذمّ الصادرة عنه بحق زرارة :

عن محمد بن قولويه والحسين بن الحسن بن بندار جميعاً ، عن سعد بن عبد الله عن هارون بن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن عبد الله بن زرارة ، وابنيه الحسن والحسين عن عبد الله بن زرارة ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : **" اقرأ مني على والدك السلام ، وقل له إني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك ، فإن الناس والعدو يسارعون الى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الأذى في من نحبه ونقربه ، ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنّوه منّا ، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ، ويحمدون كل من عبناه نحن ، فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك الينا ، وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك لنا ولميلك إلينا ، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ، ويكون بذلك منّا دافع شرهم عنك ، يقول الله عزّ وجلّ : { أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً } ، هذا التنزيل من عند الله صالحة ، لا والله**

---

[62] اختيار معرفة الرجال للكشي ٢٤١

[63] نفس المصدر ٢٤٠

ما عابها إلاّ لكي تسلم من الهلك ولا تعطب على يديه ، ولقد كانت صالحة ليس للعيب فيها مساغ والحمد لله ، فافهم المثل يرحمك الله ، فأنت والله أحب الناس إلي وأحب أصحاب أبي حيّاً وميّتاً ، فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر ، وأن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى يأخذها غصباً وأهلها ، ورحمة الله عليك حيّاً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً "[64] .

قضية زرارة بن أعين تعتبر نافذة تاريخية مهمّة على الظروف الخطرة والحساسّة التي كان يعمل بها الائمة عليهم السلام وأصحاب الائمة .. ! ورغم ذلك فإنهم لم يألوا جهداً في ممارسة مهامّهم والنصيحة لدينهم وللمؤمنين ما استطاعوا لذلك سبيلا ..

لذلك نسمع من الإمام الصادق عليه السلام كلاماً مهمّاً عن التقية ، لأنها سلاح المؤمن العامل ودرعه الحصين ، عنه عليه السلام[65] :

- **لا دين لمن لا تقية له ، وإن التقية لأوسع مما بين السماء والأرض .**
- **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية .**
- **لا خير فيمن لا تقية له ، ولا إيمان لمن لا تقية له .**

---

[64] وسائل الشيعة ج٢٠ ص١٩٦

[65] بحار الأنوار ج٧٢ ص٤١٣

● **ما من شئ أقرّ لعين أبيك من التقية ، إن التقية لجنة للمؤمن .**

التنّور ، من أجهزة اختبار الشيعة

الإختبار والإمتحان والإبتلاء سنّة الله في الأرض ، قال تعالى (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**)[66] .

وتختلف الاختبارات تبعاً لعدد من الأمور ، فتارة بإختلاف المُمتحن ودرجته ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : **إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونـهم ، ثم الأمثل فالأمثل**[67] . أو للتمحيص أو لتخفيف ذنب أو لزيادة درجة .. الخ . فلقد اختبر الله تعالى ابراهيم (**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**)[68] .

---

66 البقرة ٢١٤

67 الكافي ج٢ ص٢٥٢

68 البقرة ١٢٤

كما أن القادة وأصحاب المهامّ الخطيرة والمهمة والحساسة دائماً ما يختبرون فريقهم وجهازهم الخاص الذي يقتحمون به مجال اداء تلك المهمة ، فيحدثنا القرآن الكريم مثلاً عن اختبار طالوت لجنوده ، قال تعالى (**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**)[69] .

وعلى هذا السياق نجد ان الائمة المعصومين عليهم السلام اختلفت أدوارهم تبعاً لأمور ومقدمات وأهمّها وجود الأصحاب ووجود الناصر والمعين .. فعانى أمير المؤمنين من قلّة الناصر (**اصول بيد جذاء ام أصبر على طخية عمياء**) ، بينما توفر للإمام الحسين ع أصحاب هم خير أصحاب بنصّ الإمام عليه السلام وشاركوه بصناعة كربلاء ..

ونقرأ في حياة الإمام الصادق عليه السلام هذا المانع من ممارسة بعض المهام أو استثمار بعض الفرص ، ولنا في قصة التنور التي سجرها للخراساني خير شاهد وعبرة :

---

69 البقرة ٢٤٩

عن مناقب ابن شهرآشوب : حدّث إبراهيم ، عن أبي حمزة ، عن مأمون الرقي قال : كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلّم عليه ثم جلس فقال له : يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة ، وأنتم أهل بيت الإمامة ، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه **!؟** وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف **!؟**

فقال له عليه السلام : **إجلس يا خراساني رعى الله حقك** ، ثم قال : **يا حنيفة أسجري التنور** ، فسجرته حتى صار كالجمرة وابيض علوه ، ثم قال : **يا خراساني ! قم فاجلس في التنور** ، فقال الخراساني : يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار ، أقلني أقالك الله ، قال : **قد أقلتك** ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ، ونعله في سبابته فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله ، فقال له الصادق عليه السلام : **ألق النعل من يدك ، واجلس في التنور** ، قال : فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور ، وأقبل الإمام عليه السلام يحدّث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها ، ثم قال : **ثم يا خراساني وانظر ما في التنور** قال : فقمت إليه فرأيته متربعا ، فخرج إلينا وسلّم علينا ..!

فقال له الإمام عليه السلام : **كم تجد بخراسان مثل هذا ؟** فقال : والله ولا واحداً ، فقال عليه السلام : **لا والله ولا واحدا** ، فقال : **أما إنا في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت** [70].

---

[70] المناقب ج٣ ٣٦٢

مراقد أهل البيت "ع "
نظرة دينيـة وهندسيـة

مراقد أهل البيت ، نظرة دينية وهندسية

قبر الإمام الصادق عليه السلام من بين المراقد المهدومة لائمة البقيع عليهم السلام في عصرنا الحاضر بسبب اجتهادات وهابية استندت على مقدمات خاطئة وظنون موهومة وعصبيات جاهلية ومذهبية متجذرة ، ولنا على هذا الأمر تعليقات :

(١)

ثلاثة محددات مهمة وراء فكرة تصميم وتنفيذ المراقد الدينية للائمة والصالحين ، بل للأبنية الإسلامية والدينية عموماً ، وهي :

المحدد الأول : المنطلق الديني والتشريعي البحت ، كالوجوب والاستحباب الشرعي والذي يتعلق بهذه الأبنية ، تارةً لرفع انتهاك حرمة ، أو لتعظيم شعيرة ، أو لمندوبية عامة .. قال تعالى (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا**

تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[71] ، وقال تعالى (.. **فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا ۖ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**) [72] ..

المحدد الثاني : وظيفي ، بمعنى أن يكون التصميم موافقاً للوظيفة التي سيؤديها هذا المبنى ولطبيعة الاستخدام والتشغيل .. فالمساجد مثلاً تحتاج الى فناء واسع للصلاة ، والمدارس الدينية الى قاعات صغيرة وكثيرة للدراسة .. وهكذا .. قال تعالى (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**)[73] .

المحدد الثالث : تعبيري أو رمزي ، وهذا يعتمد على ممازجة الخيال الهندسي المعماري مع روح المبنى والعقيدة الدينية التي انطلق منها ويعود اليها ، كالقباب الإسلامية مثلاً والتي تشير الى فلسفة التوحيد في الإسلام ، والنجمة السداسية التي تشير الى نبي الله سليمان عند اليهود .. وهكذا .

ولو أردنا تطبيق هذه المحدّدات الثلاثة على أبنية مراقد أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة ..

---

[71] البقرة ١٢٧

[72] الكهف ٢١

[73] البقرة ١٢٥

وباقي المشاهد المشرّفة لرأينا اجتماعها فيها .. فهي من جانب تعظّم من قبور الائمة وتهتم بحرمة مراقدهم بعد أن تعرّضت الى انتهاكات تاريخية متعددة على ايدي طغاة العصور ، كالمتوكل الذي حرث قبر الحسين ع ، وصدام اللعين الذي ضربه بالمدافع ، وكجريمة تفجير مرقد العسكريين ع وتهديم قبور الانبياء والصالحين على ايدي الدواعش .. الخ

أمّا من الجانب الوظيفي ، فهي مصمّمة لاداء حاجات فعلية ومهيئة بشكل يتم فيه تيسير حركة الزائرين ، وتوفير مساحات لإقامة الصلوات والشعائر الدينية ، وغرف للإستراحة والدرس او للإدارة وبعض الأنشطة المختلفة .. ولهذا الغرض نجد التوسعة مستمرة في الاماكن الإسلامية المقدسة ، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومراقد أهل البيت .. وهي توسعة من أجل استيعاب الوظائف الأساسية والمتجددة لها ..

وأما المحدّد الثالث ، فهي بلا شك تُصمم وفق فلسفات هندسية إسلامية ، ويحرص المصممون على تجسيد العقائد والأفكار الحقة فيها بالإضافة الى المعايير الإسلامية العامة للأبنية والتي لا يتسع المجال الى ذكرها هنا ..

اذن .. ابنية مراقد المعصومين ليست مجرد قبور ، وإنما باتت حواضر إسلامية كبيرة وضخمة تؤدي وظائف كبيرة ومتشعبة وتعكس عقائد وتشريعات جليلة .. فهذا قبر الرسول ومسجده شهد على مرّ العصور توسعات كبيرة وآخرها في العقود المعاصرة حيث بات مسجداً يستوعب ملايين الزائرين

والمصلّين ، ويضم مؤسسات ودوائر رسمية ضخمة ومتعددة الأغراض والمهامّ .. وهذا ما نلمسه بفضل الله في المدن التي تشرفت بمراقد المعصومين ..

وعليه : اقترح تصميم نموذج معماري لإعادة بناء ائمة البقيع تراعى فيه هذه المحددات وبنفس الوقت محددات المملكة السعودية والجهات الدينية فيها وقابل للمناقشة معهم .. ولا نكتفي بالمطالبات فقط ..

(٢)

لم تعد الأبنية العالية والفخمة والمزيّنة تشكل خطراً على عقيدة الإنسان او توجهاته الروحية او الفكرية عموماً كما كان سابقاً .. ففي عصورنا الحاضرة شهدت الدنيا صروحاً معمارية وتكنولوجية مُبهرة وتكاد تكون اعجازية وبدون ان يكون لها تأثيراً سلبياً على عقائد الناس ومتبنيّاتهم الروحية .. بل بالعكس ، نحن في الإسلام قد نحتاج الى هذا النوع من المعاصرة والموائمة وأن لا نُشعر الآخرين بالتخلّف والانحطاط والتحجر .. ما دام ذلك يجلب نفعاً ويدفع ضررا ..

في القرآن الكريم آيتان تعززان هذه الفكرة ، نذكرهما :

الأولى : تأثّر عقيدة بلقيس - وهي كافرة - (**إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**)[74] ، بعقيدة نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا السلام بعد أن انبهرت بالصرح الذي يجلس فيه سليمان عليه السلام والقدرات الخارقة التي تمتلكها سلطته ، قال تعالى (**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[75] .

الثانية : الإشارة الى الانعكاسات السلبية على الناس ما لو انحصرت المباني الفخمة والتقنيات المتطورة بأيدي الكافرين دون المؤمنين ، قال تعالى (**وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**) [76] ، يعلّق صاحب الميزان على هذه الآية : قالوا : المراد بكون الناس أمة واحدة كونهم مجتمعين على سنة واحدة هي الكفر بالله لو رأوا أن زينة الدنيا بحذافيرها عند الكافر بالله والمؤمن صفر الكف منها مطلقا، والمعارج الدرجات والمصاعد .

نريد من هذه التعليقة والتي قبلها فتح أبواب فكرية ودينية لتقبّل فكرة بناء وإعمار مراقد الأنبياء والاولياء والصالحين بما يعود بالإيجاب على الدين الإسلامي في عصورنا الحاضرة

[74] النمل ٤٣

[75] النمل ٤٤

[76] الزخرف ٣٣

.. بدلاً من التحجّر على اراء تبتني على أفكار أقل ما يمكن وصفها بأنها قابلة للمناقشة ..

(٣)

تخضع الكثير من أحكام الإسلام الى البيئة المعاشة والظروف الخاصة والأعراف السائدة وقتئذ والضرورات الطارئة والاستثناءات الحرجة .. الخ ، فتتغير بعض الأحكام وفق بعض المتغيرات وتتبعها ، فيصبح الحرام حلالاً والجائز ممنوعاً .. وهكذا .

والتغيير هذا تارةً يُجريه نفس القرآن الكريم أو تقوم به السنّة الشريفة وحديث المعصوم ، وهو ما يُعرف بنسخ القرآن والسنّة ، وأخرى يكون من صلاحيات وليّ الأمر وفقاً لمصالح عامة يراها ، وتارةً ثالثة تكون من صلاحيات وإمكانيات الفقهاء وفقاً لقواعد وأصول شرعية يعملون على أساسها ويستنبطون وفقها ، قال تعالى (**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**) [77]. والضرورات في الإسلام تبيح المحظورات ، فأكل بعض انواع اللحوم حراماً ، ولكن عند الضرورة تصبح جائزة ، قال تعالى { **وَمَا لَكُمْ أَلَّا**

[77] النساء ٨٣

تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ} [78] .

فزيارة القبور مثلاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد تغيّر حكمها من المنع الى الجواز ، فورد عن رسول الله : { كنتُ نهيتُكم عن زيارَةِ القبورِ ألا فزورُوها ، فإِنَّها تُرِقُّ القلْبَ ، و تُدْمِعُ العينَ ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ ، ولا تقولوا هُجْرًا } الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني المصدر : صحيح الجامع الصفحة أو الرقم : 4584 خلاصة حكم المحدث : صحيح ، التخريج : أخرجه أحمد (13487) ، وأبو يعلى (3707) مطولاً ، والحاكم (1393) واللفظ له .

وكذلك بالنسبة للبناء على القبور ، فعلى الرغم من اختلاف علماء الإسلام ومذاهبه في ذلك ، فبعضهم أجاز وبعضهم منع ، والجواز تارة يكون مطلقاً وتارة يكون لضرورات ، ومن بين تلك الضرورات التي ذكروها مثلاً :

١ . عندما تكون الأرض رخوة او ذات مياه جوفية عالية بحيث لا يمكن الدفن بها ، فيصار الى الدفن فوق الأرض وبناء القبر فوق مستوى التربة ..

---

[78] الانعام ١١٩

٢. في حالة عدم وجود مساحات كافية للدفن وتعذّر توفير ذلك فيصار الى البناء بأكثر من طابق ..

والضرورتان أعلاه حددهما الأزهر الشريف في مصر ..

٣. قال ابن حجر الهيتمي : " نعم إن خُشي نبش أو حفر سبع أو هدم سيل لم يكره البناء والتجصيص بل قد يجبان " من تحفة المحتاج " (3 / 196) .

والأمثلة كثيرة واستثناءات الأحكام أكثر .. نريد أن نقول أن مسألة زيارة القبور والبناء عليها من الأحكام الخاضعة للرأي والاجتهاد والاستثناء ، وخاضعة لتغيير بعض المعطيات الخاصة بها وليست من الأحكام القطعية والعقائد التي يدور إسلام الفرد وإيمانه مدارها .. ومن يجعلها سبباً للفرقة بين المسلمين وتكفيرهم فإنه قد جافى الشرع والعقل والمنطق ..

رثاء السيّد محسن الأمين (رحمه الله)
للإمام الصادق عليه السلام

تَبكِي العُيونُ بِدمعِها المتورِّدِ ** حُزناً لِثَاوٍ في بَقيعِ الغَرقدِ
تَبكي العُيونُ دَماً لِفقدِ مُبرَّزٍ ** مِن آلِ أحمدَ مِثلُه لم يُفقدِ
أيُّ النَّواظِرِ لا تَفيضُ دُمُوعُها ** حُزناً لمأتمِ جَعفرِ بنِ مُحمَّدِ
الصَّادقُ الصِّدّيقُ بَحرُ العِلمِ مِصبـ * باحُ الهُدى والعَالِمُ المتهجّدِ
رُزءٌ لهُ أركانُ دِينِ مُحمَّدٍ ** هُدَّتْ ونابَ الحُزنُ قَلبَ مُحمَّدِ
رُزءٌ لهُ تَبكِي شَريعةُ أحمدٍ ** وتَنوحُ مُعوِلَةً بِقلبٍ مُكمدِ
رُزءٌ بِقلبِ الدِّينِ أثبتَ سَهمَهُ ** ورَمى حُشاشةَ قلبِ كُلِّ مُوحِّدِ
ماذا جَنَتْ آلُ الطَّليقِ وما الذي ** جَرَّت على الإسلامِ من صُنعٍ رَدِي
كَم أنزَلَتْ مُرَّ البَلاءِ بِجعفرٍ ** نَجمِ الهُدى مَأمونِ شِرعةِ أحمدِ
كَم شَرَّدَتهُ عن مَدينةِ جدِّهِ ** ظُلماً تجشّمُه السرى في فدفد
كَمْ قد رَأى المنصورُ منهُ عَجائباً ** ورَأى الهُدَى لَكنَّهُ لم يَهتدِ
لَم يَحفظُوا المختارَ في أولادِهِ ** وسِواهُمُ مِن أحمدٍ لم يُولَد
لَم يَكفِ مَا صَنَعَتْ بِهِم أعداؤهُم ** زَمنَ الحَياةِ ومَا اعتَدَاهُ المُعتدي
حَتَّى غَدَتْ بَعدَ المماتِ خَوارجُ ** في الظُّلمِ بالماضينَ منهُم تَقتَدِي
هُدِمَتْ ضَرائحُ فوقَهُم قد شُيِّدَتْ ** مَعقودةً مِن فَوقِ أشرفِ مَرقدِ

الفهرست